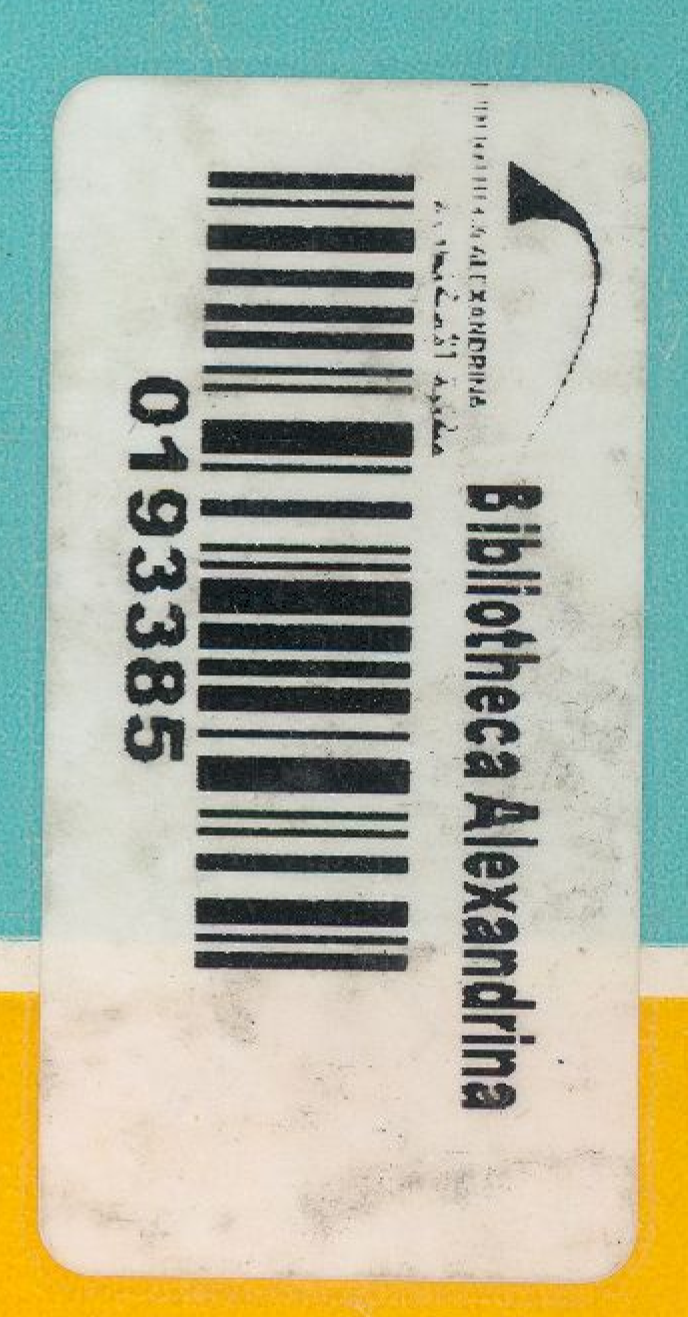
نظرية دارون

بين التأييد والمعارضة

تأليف
سيد أحمد الكيلاني



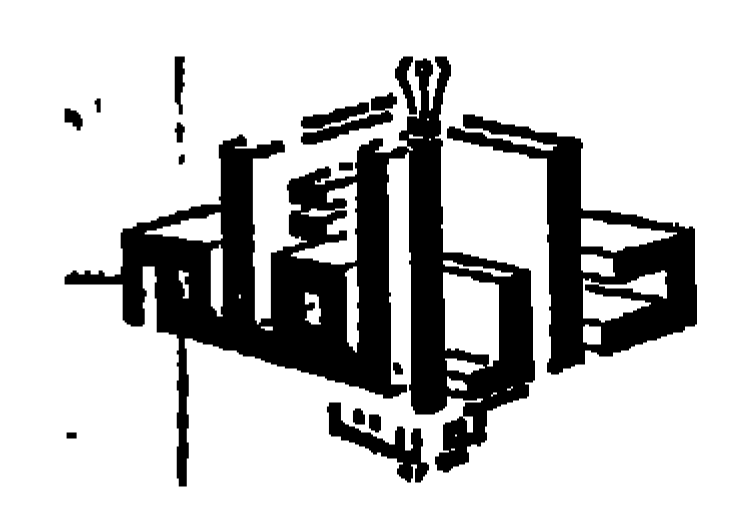


نظرية داروين

بين التأييد والمعارضة

تأليف

سيد أحمد الكيلاني



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

« قُلْ سيروا في الأرضِ فانظروا كيف بَدَأَ الخلقَ ثم اللهُ ينشىءُ النشأة الآخرةَ ، إن اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ » .

الآية (٢٠) من سورة العنكبوت ·

« لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ، ولاحظوا أن نجاح دارون ، وماركس ، ونيتشه، قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد » .

بروتوكولات حكماء صهيون أو الخطر اليهودي
ص ١٢٣ ، ١٢٤ البروتوكول الثاني ٠

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فما له من هاد .

« وبعد »

فتلك عجالة سريعة في نظرية التطور ، أو « نظرية دارون » أردت من خلال عرضها ، أن أبين مدى الخطأ الذي يعيش عليه عالمنا العربي والإسلامي ، وذلك بتقليد الغير ومحاكاته دون فهم ووعي ودراسة .

والمتتبع لفصول هذه العجالة يجد النهج العلمي في مناقشة هذه النظرية ، يجد العرض العام لهذه النظرية كما يراها أصحابها ، ويجد ما اعتمدوا عليه من حفريات قالوا إنها تؤيد ما ذهبوا إليه ، ومناقشة هذه الاستنتاجات مناقشة علمية ، ليس لي الفضل فيها إلا جمعها ، وتأليفها في هذه المذكرة الصغيرة .

وقد تتبعت أخبار المؤيدين ، والمعارضين ليظهر الحق جليا ، وتملكني اعتقاد أحب أن أنبه إليه :

هو أن من يريد أن يهدم الباطل فلا بد من أن يتعرف عليه ، ويدرسه ، فإن كان للباطل صرح فهدمه من داخله أيسر من خارجه ، وذلك لأنه على غير أساس .

وإن كان هذا الاتجاه لا يتناسب مع الكثيرين ..

ويعلم الله سبحانه ، أني ما قرأت فكراً معاديا للإسلام ومدروساً إلا ازداد يقيني بالإسلام على أنه الحق ، وغيره الباطل ، وذلك بالمقارنة اليسيرة بين هذا وذاك .

وسيرى القارىء أيضاً مع مناقشة الحفريات التاريخية المقارنة التشريحية بين الإنسان والحيوان ، ومدى الفرق بينهما ، ليظهر أن الإنسان كان خلقاً مستقلاً لا متطوراً عن غيره من الحيوان .

وبالإضافة إلى ذلك . المناقشة المنطقية الفلسفية للمؤيدين .

وإذا كانت هذه النظرية ليست على أساس سليم ، فلم تشيع هكذا في عالمنا ؟

وكان لا بد إذن أن أبين الغايات والأهداف من وراء نشر هذه النظرية على أوسع نطاق ، معتمداً في ذلك على أقوال الخصوم قبل الأصدقاء ...

ونعرف مدى الخطأ في تقليدنا لهذه النظريات دون دراسة وتمحيص لها ، وكان الأولى بنا أن نتدبر كل فكر ونزنه بالميزان الثابت الذي لا ينحاز . ميزان الإسلام وقد أمرنا الإسلام صراحة بالسير في الأرض ، والتأمل فيها وما حولها ، وطلب من كل مسلم حسب طاقته أن ينظر ويتأمل « كيف بدأ الله الخلق ؟ » فلم يحجر على عقولنا ، بل أطلقها لتصل إلى أن للكون إلهاً خالقاً مدبراً حكيما ، وهذا الخالق إذا أخبرنا

بشيء فذاك هو الحق ، ولا حق سواه .

وإن كان من سبب لكتابتي هذه المذكرة ، فذلك يرجع إلى شهر مايو ١٩٦٩ ، وقد كنت بعون الله قد كتبت مذكرة موجزة عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مبينا صلة كل بالآخر ، والوقت الذي عاش فيه ، والمنطقة الجغرافية التي كان عليها ، والقوم الذين أرسل إليهم ، وإن لم يكن على التأكيد بالنسبة للبعض فكان على التقريب .

وعلى هذا ظهرت للطلاب وسيلة إيضاح موضوعية لشجرة الرسل والأنبياء بعد عناء وجهد ...

وفوجئت والعمل يظهر في شكله الأخير بأن هناك شجرة أخرى ، شجرة التطور ، أي تطور الإنسان عن غيره من الحيوان ، أي أن آدم السوي الخلق في شجرة الرسل لم يكن سوياً في الخلق في شجرة التطور ، وذعرت حين رأيت عملا فنيا جميلا لشيء غير جميل ، وحاولت أن أستعين بالغير فرد علي قائلاً :
« اترك الغير يعمل كما نعمل ، وقارع الحجة بالحجة .. »

واستفدت من العبارة على الرغم من شدتها ، وبدأت أقرأ عن نظرية دارون طيلة أيام متتالية .

ويكون لقاء مع المختصين بشجرة التطور ، وفي اللقاء مناقشة تهدأ أحيانا ، وتشتد أحياناً ، وأنا بينهم ليس لي من صاحب إلا واحد منهم ...

وانتهى اللقاء على خير ، وظهر لي أن الكثير من المختصين

يدرسون هذه النظرية ولا يؤمنون بها ، بل إنهم يدرسونها لأنها في المنهج ، ورأيت الأسف شديداً جداً ...

وتمنوا أنهم لم يصنعوا مثل هذا العمل .

ووصل بنا بعد أن اتفقنا نوع اتفاق أن طلب مني أن أكتب ملاحظاتي عن النظرية ، فكتبتها في نقاط ، علقت بجوار شجرة التطور مدة .

ومنذ ذاك الحين وأنا شغوف أن أعرف عن النظرية ما أستطيع .

وظللت أجمع النصوص على اختلافها ، واختلاف مصادرها حتى أوفت على ما اعتقدت أن أؤلف بينها وبين بعضها ... وكانت هذه المذكرة ...

وأنا بذلك أدعو كل زميل وكل طالب ، وبخاصة من يدرس علم الأحياء للسنة الرابعة أن يقرأ كل منهم هذه المذكرة ...

ولست بهذا العمل أدعي العصمة في التفكير ، فالعصمة لله وحده ، وإنما أنا بشر أخطىء وأصيب ...

وقد اجتهدت حتى وصل إلى قلبي اليقين بما أقول ... ولعل هذا اليقين يصل أيضاً إلى قلوب القارئين بعون الله تعالى ، وبالله التوفيق .

المؤلف

١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م

عرض تاريخي عام

منذ مطلع القرن الثامن عشر حتى الآن والعالم يعج بمبادىء ومذاهب وآراء هادئة أحيانا ، ومضطربة أحيانا ؛ معبرة في حالتيها عن مشاعر وأحاسيس أصحابها .

وقد بلغ الغرب المبلغ الكبير في تصدير هذه الآراء والأفكار إلى العالم بأجمعه ، وبخاصة المنطقة التي تفتقر إلى الغرب لتأخذ منه ما تحتاج من وسائل المعيشة والحياة .

وإنها لفترة مظلمة حقاً تلك التي يعيشها أهل تلك المنطقة ، حين تركوا أو أهملوا دينهم الذي يجعلهم قادة الدنيا ، وقد كان لهم فعلاً هذا الأمر حين اعتزوا به ، وترسموا خطاه ، وبذلوا كل ما في وسعهم لنهضتهم العلمية ، ليخشوا الله عز وجل ، وحين انحرفوا عن الطريق المستقيم تردوا في الجهل المطبق ، والشقاء الدنيوي ، والاستعمار الكافر بوجهيه : الحربي ، والفكري .

وأي جهل أكبر وأسوأ من أن نعيش على فتات موائد الغرب العفن ، بعد أن نبذوه ، وطرحوه ، وأصبحنا نقلد

كالقرود الأفكار البالية المهتزة التي قال العلم المنصف فيها كلمته ، وكشف التزييف فيها .

وظهر على مسرح الوجود شيء غريب جداً .

هذا الشيء هو تطور الأحياء عن بعضها ، بما في ذلك الإنسان . فالإنسان متطور عن غيره ، وليس خلقاً مستقلا أوله آدم .

وإذا ذكرت كلمة الأحياء ، يقصد بها النبات والحيوان والإنسان ، فالإنسان متطور عن الحيوان ، والحيوان متطور بدوره عن النبات ، والنبات كما سنعرف عن بعض القائلين متطور أيضاً عن الجماد .

أشهر القائلين بالتطور العضوي

وأشهر القائلين بالتطور العضوي هذا أي في النبات ، والحيوان والإنسان .

١ ـ العالم النباتي السويدي كارل لينوس ١٧٠٧ ـ ١٧٧٨
٢ ـ العالم النباتي الفرنسي بوتون ١٧٠٧ ـ ١٧٨٨
٣ ـ أراسموس دارون جد دارون ١٧٣١ ـ ١٨٠٢
٤ ـ العالم الفقيه الإيقوسي لورد منبودو ١٧١٤ ـ ١٧٩٩
٥ ـ العالم الفرنسي لامارك ١٧٤٤ ـ ١٨٢٩
٦ ـ العالم الإنجليزي شارل دارون ١٨٠٩ ـ ١٨٨٢
٧ ـ العالم الإنجليزي رسل والاس ١٨٢٣ ـ ١٩١٣

وكل من لامارك وداروين ووالاس يقول بتحول الأنواع ، ويرد كثرتها إلى نوع واحد أو أنواع قليلة ، وعلى مباحث هؤلاء الثلاثة يقوم مذهب النشوء أو مذهب التطور ، واشتهرت هذه المباحث باسم « نظرية داروين » على الرغم من عدم اجتيازها مراحل التخمين والظن ، ومعارضتها لليقين ، كما ينطق بذلك العلم نفسه .

أشهر القائلين بالتطور العام

وعلى الرغم من هذه المزاعم على ألسنة القائلين بالتطور العضوي في النبات ، والحيوان ، والإنسان . هناك من يقولون أيضاً بالتطور العام ، أي في الكون كله : من جماده ، وأحيائه .

وأشهر القائلين بالتطور العام أي في الكون كله : —

١ — هربرت سبنسر ١٨٢٠ — ١٩٠٣

٢ — الفيلسوف الإيقوسي هاملتون ١٧٨٨ — ١٨٥٦

٣ — الفيلسوف الألماني عمانويل كانت ١٧٢٤ — ١٨٠٤

وبذلك نعرف أن هناك نوعين من العلماء القائلين بالتطور .

١ — نوعاً يجعله خاصا بالنبات والحيوان والإنسان .

٢ — ونوعاً يجعله في الكون كله ، بما في ذلك النبات ، والحيوان والإنسان ، والجماد .

والذي يهمنا في هذه المذكرة النوع الأول لشيوعه ، وللآثار الواسعة ، والكثيرة التي يعج بها عالمنا العربي والإسلامي للأسف الشديد ، حتى وصل الأمر أن ألفت كتب ، وعرضت لوحات ، وكتبت مقالات كلها تعتمد من قريب أو من بعيد على مثل هذه النظرية « نظرية دارون » دون مناقشتها المناقشة العلمية ، مما يجعل القارىء يظنها حقيقة لا جدال فيها ، على الرغم من مخالفتها للحقائق العلمية .

النظرية كما يراها أصحابها

إن نظرية التطور والارتقاء خلاصتها :

أن أنصارها يزعمون أن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر هذه الأرض بجرثومة أو جراثيم قليلة ، تطورت من حال إلى حال تحت تأثير فواعل طبيعية حتى وصلت إلى هذه التنوعات التي نراها وعلى رأسها الإنسان .

ويقولون : إن الحياة الأولى عندما وجدت حول المستنقعات كان عليها أن تصارع من أجل البقاء وأن أول عمل وقائي لتحصن الحياة ضد الفناء هو أن تغلفت هذه الحياة بصدف كلسي يقيها من الحرارة . ويقول لامارك مؤسس نظرية التطور والارتقاء :

إن أول درجات سلم الكائنات الحية ، والذي هو بداية البداية التي نشأت منها صور الحياة الأخرى بمختلف أنواعها هو البوليب .

والبوليب هذا وصفه لامارك بقوله : إنه ليس له أعضاء خاصة للحس أو التنفس أو الدوران أو التكاثر وأنه لا شيء

إلا قناة صغيرة منفردة للاغتذاء . وأنه يستطيع أن يمتص غذاءه من خلال أي جزء من أجزاء جسمه ، وأن أنواع البوليب هذه لضآلة جسمها تكاد تكون غير ذات شكل معين كأنها كريات من الهلام والجلاتين .

هذا ما يراه لامارك أستاذ دارون في بداية الخلق ويحددها كما مر [١] .

ويكمل التلميذ دارون الحلقة فيبين طريق السير حتى كان الارتقاء فعلا كما يدعي .

القواعد الأربعة لنظرية دارون :

جاء دارون وخطط ونظم ، وجعل لنظريته قواعد أربع تعتمد عليها .

١ ـ القاعدة الأولى : ناموس تنازع البقاء .

٢ ـ القاعدة الثانية : الانتخاب الطبيعي .

٣ ـ القاعدة الثالثة : المطابقة .

٤ ـ القاعدة الرابعة : الوراثة .

ناموس تنازع البقاء :

أما ناموس تنازع البقاء كما يراه دارون هو أن الكائنات الحية في تنازع مستمر ، وأن البقاء إنما يكون للأكمل والأقوى

---

(١) الاسلام ونظرية دارون (بتصرف) للاستاذ أحمد باشميل .

من المتنازعين ، أما الأضعف فإنه يتلاشى لأنه غير صالح للحياة .

ويضرب دارون لذلك مثلا بما معناه .

إذا فرضنا وجود سرب من الأبقار تسير في غابة ، فإذا رأت مرعى تزاحمت عليه فالقوي منها يفوز بقيمة أكثر من المرعى ، فيزداد قوة على قوة . أما الضعيف فيزداد ضعفاً على ضعف ، ويستمر على هذا حتى يتلاشى .

ناموس الانتخاب الطبيعي :

أما ناموس الانتخاب الطبيعي ، فيقول عنه دارون معقبا على المثل السابق : بأن السرب حينما يمر بطريق وعرة لا يقوى على اختراقها إلا الممتازون منها بالقوة ، وهذا يعني أن نتيجة هذا السباق بقاء الأقوى والأصلح ، والباقي يتلاشى .

ناموس المطابقة :

والمقصود أيضاً من ناموس المطابقة أن الأسد مثلاً من أكلة اللحوم ، وعلى هذا له أنياب حادة، وتطول امعاؤه طبقا لآكلي النبات والأعشاب .

ناموس الوراثة :

ومعنى ناموس الوراثة وهو القاعدة الرابعة لنظرية دارون ، أن الصفات العرضية التي تحدث في الآباء بوساطة اختلاف

الأحوال والأوساط المعيشية تنتقل إلى الأبناء . وتظل على هذا حتى تكون الصفات الموروثة جوهرية تميز نوعاً عن نوع آخر [1] .

والمتتبع لكل ما سبق عن دارون يجد أنه لم يبين هذه النظرية على أسس علمية ثابتة ، لا يمكن الرجوع عنها وإنما بناها على افتراضات وتخمينات وتقديرات تحتمل الخطأ والصواب ، ومثله أستاذه لامارك الفرنسي حين ادعى أن الحياة بدأت على شكل جرثومة ، لم يستند في ذلك إلى أساس علمي [2] .

الحفريات التاريخية التي يعتمدون عليها :

وقد اعتمد القائلون بالتطور على حفريات تاريخية ، ظهر لهم في زعمهم أنها تؤيد دعوى التطور ، ومن أبرز هذه الآثار :

١ ـ إنسان بكين عمره نصف مليون إلى مليون سنة اكتشفت بقايا آثاره سنة ١٩٢٩ جنوب غربي بكين .

٢ ـ إنسان جاوة عمره أقل من مليون سنة اكتشفت بقايا آثاره سنة ١٨٩١ في جزيرة جاوة .

---

(١) ويلاحظ مع هذا الجزء ما سيجده القارىء في هذه المذكرة في مكان آخر عن ليسنكو الروسي حينما ادعى الغاء أثر الوراثة في النبات ١٩٣٥ ، واستغل هـذا الأمر ستالين فطبقه على الإنسان ، وقد أعلن فشله في موسكو ١٩٦٢ .
(٢) الاسلام ونظرية دارون (بتصرف) .

٣ ـ إنسان بلتداوين ما قبل نصف مليون سنة اكتشفت بقايا آثاره سنة ١٩١١ في مدينة بلتداوين .

٤ ـ إنسان هايدلبرك وهو معاصر لإنسان بلتداوين ، اكتشفت بقايا آثاره سنة ١٩٠٧ في هايدلبرك الألمانية .

٥ ـ إنسان نياندرتال ما قبل ١٠٠ ألف سنة إلى ٤٠٠ ألف سنة ، اكتشفت بقايا آثاره في سنة ١٨٥٦ في وادي نياندر

٦ ـ إنسان كرومانيون ما قبل ٥٠ ألف سنة [١] .

ولظهور اختلاف في المكتشفات الحفرية السابقة بينها وبين الإنسان الحديث ظن القائلون بالتطور أن هذه المكتشفات هي الحلقة بين الإنسان والحيوان . مما يدل حسب ادعائهم على أن الإنسان متطور عن الحيوان والأنواع العليا بشكل خاص ، والمتطورة بدورها عن الحيوانات الوسطى وهكذا .

(١) عن مجلة الشهاب للكاتب قيس القرطاس ، العدد التاسع عشر ، السنة الثانية ٠ ٢٤ من شعبان ١٣٨٨ الموافق ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٨ والعدد التالي له أيضا ٠

« مناقشاتٌ وردُوُد »

وقد أثارت الحفريات السابقة الكثير من المختصين بهذا المضمار ، وناقشها الكثير مناقشة علمية ، وردوا على من اعتمدوا عليها مستدلين على التطور أو النشوء والارتقاء ...

وفيما يلي ما يتناسب مع هذه المذكرة القصيرة من آراء العلماء الذين ناقشوا هذه الحفريات ، أو هذه النظرية .

١ ـ رأي عالم سوفياتي :

هو العالم اب كاروزينا في كتابه « مبادىء علم الجيولوجيا» عند كلامه عن جمجمة الإنسان النياندرتالي .

« وقد أثار العثور على هذه الجمجمة نقاشاً حاداً بين العلماء حيث اعتبرها البعض جمجمة الإنسان القديم ، بينما اعتقد البعض أنها جمجمة إنسان معاصر كان قد أصيب بمرض [١] » .

وزيادة في توضيح كلام العالم السوفياتي حين ذكر احتمال

---

(١) مجلة الشهاب العدد السابق .

أن بقايا الإنسان النياندرتالي المكتشفة لإنسان مريض معاصر نذكر هذا النص لأحد [1] المعنيين بهذه المسألة :

« ... فقد رأيت مرة في أحد أقطار إفريقيا الشرقية . « أريتريا » إنساناً ذا شكل غريب ، رأيت شاباً قد اجتمع الناس عليه (وبدافع الفضول) التحقت بهم لأعرف سبب تجمعهم ، وإذا بي أمام شاب طويل القامة ، غير أن الغريب فيه (والذي كان سبب التجمع) هو أن رأسه كانت من الصغر بحيث لا تتناسب مع جسمه . فقد كان حجم رأسه صغيراً جداً ، فعلى الرغم من تجاوزه العشرين من العمر فإن رأسه تكاد تحويها كفا الإنسان العادي . وقد تبين لي أنه لا يستطيع النطق ، ولا يكاد يعقل أو يدرك ، وكانت له عينان ضيقتان جداً ، رأيت هذا في مدينة « تسني » عندما كنت في أريتريا .

ويعقب الكاتب على ما شاهده في أريتريا بقوله :

« فلا شك أن ما وجده الداروني‌ون من عظام الجمجمة والهيكل التي استدلوا بها على عدم اكتمال تكوين صاحبها ، واستدلوا بها على صحة نظرية التطور والارتقاء ، هو من الأنواع الشاذة التي يصاحبها النقص في التكوين » ..

٢ ـ مناقشة حسابية :

بعد أن ذكر الأستاذ قيس القرطاس [2] الآثار الحفرية

---

(١) الاستاذ باشميل في كتابه ص ٨٨ .
(٢) مجلة الشهاب العدد السابق .

السابقة ، ناقش أهم هذه الحفريات ، وهو الإنسان النياندرتالي قائلاً :

« ومن العجيب أن جمجمة ذلك الإنسان النياندرتالي يبلغ حجمها ١٣٠٠ — ١٦٠٠ س م بينما ذكر في كتاب علم الحيوان أن حجم جمجمة الإنسان الطبيعي ١٤٨٠ للرجال ، و ١٣٠٠ للنساء ، ويبلغ وزن دماغ الرجل ١٣٥٠ جراماً ويبلغ وزن دماغ المرأة ١٢١٠ جراماً .

وأن أصغر وزن لدماغ بشري طبيعي مهما كان عرقه ١٠٢٥ جراما . فلو اعتبرنا بالقياس للنسبة بين الوزن والحجم للإنسان لبلغ الحجم ٩٤٠ س م .

فهل يعتبر الإنسان النياندرتالي شخصا دون مرتبة الإنسان الحالية ، وهو يبلغ أكثر من الحجم الأخير بكثير ؟ [١] .

٣ — الإنسان كما هو منذ عشرة ملايين سنة :

« على أن المعلومات المكملة التي ظهرت ، والتي أخفاها أنصار التطور تؤكد أن المعلومات عكس كل ادعاءات أنصار التطور فمن المعلوم أن بقايا هذه الآثار لا يزيد عمرها عن مليون سنة حسب تقدير أنصار التطور أنفسهم .

فلا ندري ما موقف أنصار التطور إذا كان علماء الآثار قد اكتشفوا آثاراً لجمجمة إنسان مضى عليها عشرة ملايين سنة وقد احتفظت بشكلها الحالي [٢] .

---

(١) ، (٢) قيس القرطاس ، المصدر السابق .

يقول الأستاذ عبد الرزاق نوفل [1] :

« وقد أذاع البروفسور .. جوهانس هورذلر » العالم الذري في سمنتبال بسويسرا بيانا في ١٠ مارس ١٩٥٦ عارض فيه نظرية دارون بشدة ، وقال : « إنه لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالات القرد ، وأن التجارب الواسعة التي أجراها دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة وهو يعيش منفرداً وبعيداً جداً . »

وأضاف إلى ذلك .

« أن الهياكل التي درس عليها تؤكد نظريته، وقد قدم البروفسور المذكور للمتحف الطبيعي بمدينة بال قطعة من الفحم بداخلها قطعة من فك إنسان يرجع تاريخها إلى عشرة ملايين سنة . وهذا التاريخ هو التاريخ الذي أمكن الحصول فيه على هياكل آدمية » .

« ... وبتاريخ ٣١ مارس ١٩٥٦ أعلن في أمريكا أن الدكتور « دويتر المشرف على الأبحاث بجامعة « كولومبيا » قد أيد البروفسور « هورذلر » في وجهة نظره ، واعتبرت نظرية دارون بذلك رأيا لا يستند إلى أي دليل علمي ، وأن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع استقلالا تاماً فمنها الإنسان الذي يمشي على رجليه ، ومنها الدواب التي تمشي على أربع

---

(١) الله والعلم الحديث ص ٢٣١ .

ومنها الزواحف التي تمشي على بطنها [1] » .

« وقد ذكر الأستاذ محمد قطب في كتابه « الإنسان بين المادية والإسلام » أنه قد ذكرت الصحف أخيراً أن عالمين أمريكيين قد كشفا في أحد الكهوف آثاراً من مخلفات الإنسان الأول ، وأن هذا الكشف سيؤدي إلى نتائج مخالفة لنظرية دارون » .

فلماذا لا تعرض المتاحف النموذج الذي عثر البروفسور عليه ؟ والآثار التي عثر عليها الأمريكيان [2] ؟ .

« فكيف يكون الإنسان قبل عشرة ملايين سنة مساويا للإنسان الحالي ؟ من حيث التركيب العام ؟ وربما طرأت عوارض أو زلازل أو إشعاعات جعلت انحرافاً في الإنسان قبل مليون سنة .

هذا إذا سلمنا جدلاً بصحة ما زعموه ، وتوفيقاً بين الاكتشافات [3] » .

٤ ـ علم أساسه الخيال :

يقول الدكتور فورد بلات ، ترجمة مجلة المختار تحت

---

(١) الله والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل ص ٣٢١ ، ٢٣٢ ، نشر مكتبة صايغ ، طبع دار الجيل للطباعة .
(٢) قيس القرطاس المصدر السابق .
(٣) قيس القرطاس المصدر السابق ، يلاحظ في مكان آخر « نظرية الكوارث » .

عنوان « متى بدأت الحياة على الأرض ؟ » [1] . .

« ... لا نستطيع أن نحدد كم من الوقت استغرقت البادرة الأولى من بوادر الحياة لكي تظهر . فلم يكن هناك أي تحديد للوقت آنذاك ، وفي خلال العصور المظلمة ، ظلت القطرات تجيش ، وتضطرب في مياه البحار الفاترة ، ولا بد أن تجمعات لا نهائية من الذرات قد حدثت في المادة العضوية الهلامية ولكن هذه التجمعات كانت تمحى من الوجود ، بينما تمكنت أفضل القطرات تركيبا من البقاء . أما القطرات الأضعف فقد انهارت خلال عملية يمكن أن نسميها بالاختبار الطبيعي قبل بدء الحياة . وهكذا ظلت العناصر تكافح وتناضل نحو خلق الحياة في سكون وحركة لا ترى » .

ثم يقول بالنسبة للبروتين :

« ظهرت تدريجيا جزئيات أخرى جبارة ، أو مجموعة من الجزئيات . وهي سلالات معقدة من القطرات الهلامية البسيطة . وتستمر هذه العملية حتى يتكون في النهاية جزيء البروتين العجيب بعد وقت يبدو كأنه لا نهائي ، وبعد تفاعلات ، وامتزاجات كيميائية لا نهاية لها .

ونحن (أي فورد بلات) نتحدث عن هذا الحدث ، وكأنه وقع فجأة عندما اصطدمت ذرات معينة بعضها بالبعض الآخر واتحدت معا في تركيب خاص .

---

(١) ركائز الايمان للاستاذ محمد الغزالي ص ٥٤ .

« والواقع أننا اكتشفنا فقط ظهور المادة البروتينية في الزمن الماضي ، ولا نعرف كيف جاءت إلى هنا ؟

ويمكننا أن نقول (أي فورد بلات) :

« إن فرصة اتحاد ذرات الكربون والإكسوجين ، والنيتروجين والإيدروجين ، وكذلك ذرات الفوسفور ، ومجموعة العناصر الفلزية بالنسب اللازمة ، وفي الظروف الملائمة .

إن هذه الفرصة يمكن أن نقارنها بفرصة سقوط مجموعة من أوراق اللعب على مائدة بعد نثرها في الهواء ، بحيث يتألف منها مجموعات الأرقام مرتبة تماماً .

« وهذه الفرصة تكاد تكون مستحيلة » حتى لو ظللنا نكرر التجربة ، وننثر أوراق اللعب في الهواء ، وبلا انقطاع طوال التاريخ الإنساني .

ولكننا رأينا كيف أن الجزئيات أخذت تتطور نحو أشكال أكثر تعقيداً كما أخذت تصطدم بعضها بالبعض الآخر بسرعة إلكترونية خلال زمن لا نهاية له .

وفي مثل هذه الظروف يمكن أن تتحقق الفرصة البعيدة جداً يوما ما ، وأن يتكون جزيء البروتين » .

— هكذا يزعم الكاتب —

الرجل يقول أولاً :

« إن الخلق بطريق الصدفة مستحيل ولو كررنا التجربة طوال التاريخ الإنساني » .

ويعود فيقول :

« ولكن مع تراخي الزمن ، وامتداد الليل والنهار وقع المستحيل وأمكن الخلق » .

ونفس الأمر وقع لدارون .

فقد قال :

« إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت [1] » .

ونقل أيضاً عن دارون :

« يستحيل على العقل الرشيد أن تمر به ذرة من الشك في أن هذا العالم الفسيح بما فيه من الآيات البالغة ، والأنفس الناطقة المفكرة ، قد صدر عن مصادفة عمياء ؛ لأن المصادفة لا تخلق نظاماً ، ولا تبدع حكماً ، وذلك عندي أكبر دليل على وجود الله » . [2] .

---

(١) قد يكون هذا راجعا للقصور السطحي التافه للخالق عند النصارى وانه انسان ولد كما ولد البشر ، أو أنه يتزوج من البشر وينجب ويصارع ويمكر ٠٠ الخ ما جاء في التوراة والانجيل ، فقد يكون دارون معذورا اذا نفى الخلق عن مثل هذا الاله ٠

(٢) ذكر النص الاول الاستاذ محمد قطب في كتابه ٠ ذكر النص الثاني الاستاذ عبد الرزاق نوفل ص ١٢٤ « بين الدين والعلم » ٠

فإلى أي مدى يكون هذا الخيال أساساً لنظرية تقود العالم ؟

٥ ـ تلفيق :

جاء في مقدمة كتاب النشوء والارتقاء [١] :

« وقد حاول « كلاتش » من سقف الجمجمة التي وجدت في « بون » والفك الأسفل الذي وجد في « سباي » ، والقطعة من الفك الأسفل التي وجدت في « كرابيتا » أن يتصور شكل الإنسان النياندرتالي .

جمجمة ركبت من ثلاثة أماكن ، ثم يضاف لها الخيال لإكمالها فيصرح في مؤتمر ١٩٠٩ التشريحي بأنه :

« إذا وجدت فيما بعد جمجمة نياندرتالية محتفظة بهيئتها جيداً ، فلا بد أن تكون مماثلة لهذا الرسم » .

اننا احتراماً للعلم لا نشك في المعلومات العلمية لأي عالم كان ، ولكن من حقنا أن نشك في المعلومات المبنية على الحدس والتخمين ، والخيال ، وانتظار ما سيكون أيا كان هو »

« ولنتأمل كلام البروفسور « هرمن كلاتش » يقول بنفسه :

« هذا وليس لدينا شيء من بقايا عظام تلك الحيوانات الفقرية البرية الأولى ، وإنما كل ما لدينا منها هو آثار خلفتها

---

(١) قيس القرطاس . المصدر السابق .

أثناء تحركها ، فانطبعت على الرمال الرخية ، فإذا فرضنا أننا سنعثر على هياكلها ، وهذا ما لا يخرج عن دائرة الممكنات ، فإننا لن نعرف منها شيئاً عن تاريخ ما قبل الإنسان » .

« نعم قد يكون لنا عند ذاك أن نقول بجواز نشوء الأشكال العظمية الإنسانية من تلك الهياكل ، إلا أنه ليس من المنتظر أن نجد في هذه الحفريات شيئاً خصيصا بالإنسان » .

ويعقب الأستاذ قيس القرطاس [١] على ما نقله عن البروفسور « هرمن كلاتش » بقوله :

وكلام البروفسور يحتوي على عدة نقاط مهمة :

الأولى : لا يوجد لدينا شيء من بقايا عظام الحيوانات الفقرية التي نشأ منها الإنسان .

الثانية : أنه في حالة العثور على هياكلها ، فإننا لن نجد فيها شيئاً خصيصا بالإنسان .

الثالثة : يصح لنا عند العثور عليها أن نقول : إن الإنسان نشأ منها إلا أنها ليست بإنسان .

وإذا كان الأمر كذلك ، وهو أمر استنتاجي ، فإن موقف معارضي التطور أقوى بكثير في هذه النقطة بالذات . ذلك لأن مؤيدي التطور يفترضون الحصول على شيء في المستقبل ثم يفترضون أن الإنسان نشأ من هذا الشيء المندثر

---

(١) المصدر السابق .

الذي يتوقعون الحصول عليه ، بينما موقف معارضي التطور يتمسكون بفكرة الخالق المستقل ؛ لأنهم لا يقتنعون بافتراض العثور على أشياء مندثرة ، وبناء استنتاجات عليها ، وهي لم تولد بعد » .

« ويقولون : إنه بالرغم من أن احتمال وجود الشيء لا زال بعيداً ، فإن ذلك لا يحل المشكلة ، فكل ما في الأمر أنه يضيف نوعاً جديداً إلى السلسلة الحيوانية ، وتستقبل شجرة التصنيف حيوانا يضاف إلى ملايين الحيوانات الموجودة حاليا » .

٦ ـ الشك في تحديد عصر الإنسان الأول :

وأورد تحت هذا العنوان عبارات علمية جريئة في كتاب الجيولوجيا للصف الرابع الثانوي [١] :

« وسنبقى في شك من حيث تحديد العصر الذي بدأ فيه ظهور الإنسان على الأرض حتى تكشف آثار لا يحيط بها أي شك أو غموض » .

ويعبر الكتاب نفسه عن عدم وضوح الآثار لدرجة عدم قبولها برهانا فيقول [٢] :

« ولقد كان البحث يكشف لنا من وقت لآخر آثار

(١) ص ١٥٣ من الكتاب .
(٢) ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

الإنسان الأول ... في مختلف الطبقات ، استنتج منها بعضهم أنه بدأ حياته على سطح الأرض في غضون العصر الميوسيني ، على أن هذه الآثار لم تكن واضحة لدرجة يقبلها الجميع برهاناً على هذه النتيجة .

ذلك لأن العظام التي قيل إنها إنسانية لم تتوافر فيها كل الخواص لعظام الإنسان ، وقد تكون لنوع راق من القردة تشبه الإنسان في بعض صفاته » .

وكلام مثل هذا فيه الكثير من الإنصاف ، والاعتدال في عرض الآراء ، عكس ما سنراه في غيره ...

وتوضح العبارات أن الآثار التي اعتمد عليها الكثير من العلماء القائلون بالتطور غير واضحة ، ولا تصح أن تكون برهاناً [1] .

٧ — رأي العالم « فيركو » :

يذكر الأستاذ قيس القرطاس [2] عن العالم الأنتروبولوجي « فيركو » في كتابه « النوع الإنساني » :

« يجب علي أن أعلن بأن جميع الترقيات الحسية التي حدثت في دائرة علم الأنتروبولوجيا السابقة على التاريخ ،

---

(١) يلاحظ القارىء في غير هذا المكان نقولات أخرى عن نفس الكتاب .

(٢) المصدر السابق « مجلة الشهاب » .

تجعل القرابة المزعومة بين الإنسان والقرد تبعد عن الاحتمال شيئاً فشيئاً .

فإذا درسنا الإنسان الحفري في العهد الرابع ، وهو الذي يجب أن يكون أقرب إلى أسلافه نجد إنسانا مشابها لنا كل الشبه ، فإن جماجم جميع الرجال الحفريين تثبت بطريقة لا تقبل المنازعة بأنهم كانوا يؤلفون مجتمعاً محترماً للغاية ، وكان حجم الرأس فيهم على درجة يعتبرها الكثير من معاصرينا أنفسهم سعداء إذا كان لهم رأس مثلهم ، فإذا قابلنا مجموع الرجال الحفريين الذين نعرفهم بما نراه في أيامنا هذه استطعنا أن نؤكد بكل جرأة بأن الأشخاص ناقصي الخلقة بين الرجال العصريين أكثر منهم بين الرجال الحفريين [1] ولا أتجاسر (الكلام للعالم « فيركو ») أن أفترض في اكتشافاتنا الحفرية — فلم نصادف غير أصحاب القرائح السامية [2] من أهل العهد الرابع .

ومهما كان الأمر فيجب أن أقول : « أى فيركو » لم توجد قط جمجمة قرد تقرب حقيقة من جمجمة « إنسان » والمتتبع لكلام هذا العالم يعرف عدة أمور :

١ — أن الإنسان القديم كان بحالة أحسن مما نحن عليه الآن [3] .

---

(١) يلاحظ ما تقدم في هذا المجال من مشاهدات باشميل .

(٢) عكس نظرية النشوء والارتقاء تماما .

(٣) هذا الكلام يوافق ما قرره القرآن الكريم ، وما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من أن آدم خلق وطوله ستون ذراعا ، ولم يزل يتناقص الخلق حتى الآن .

٢ ــ أن بعض الاكتشافات العلمية ليس ببعيد أن تكون لغير الأصحاء .. من المرضى ، والمصابين بإشعاعات أو زلازل ، أو كوارث [1] .

٣ ــ كلما كان التقدم في العلم فإن احتمال تطور الإنسان عن الحيوان يبعد شيئاً فشيئاً .

٨ ــ ماذا كان في قارة مو المفقودة ؟

الكولونيل « جيمس شر شوارد » في كتابيه « قارة مو المفقودة » و « أبناء مو » روى فيهما أخبار حضارات سابقة لعصور التاريخ ترجع بها قدماً إلى أكثر من عشرين ألف سنة قبل الميلاد ، ويعزز دعواه برموز وإشارات يفسرها بمعانيها اللغوية .

والجديد في قصة هذه القارة :

أنها تصف لنا هذا الإنسان مخلوقاً مميزاً بين جميع المخلوقات يترابط بين خاصة التدين ، وهذه المزية التي تفرده بين أنواع الأحياء ، على خلاف المفهوم من مذهب النشوئيين الذين جعلوا الإنسان نوعاً من هذه الأنواع بغير مزية تفصله عنها سوى مزية الارتقاء [2] » .

---

(١) يلاحظ ما يناقض هذا في كتاب الجيولوجيا للصف الرابع كما سنعرف .

(٢) ملخص ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ من كتاب الانسان في القرآن للعقاد .

والأستاذ « شابمان بنشر » في كتابه عن تعليل التطور عقب عليه قائلا :

« إنه لا احتمال لتسلسل الإنسان من القردة كما نعرفها ؛ لأن القردة منفردة بتركيب خاص يستحيل تشريحيا أن يتطور منه تركيب إنسان ، إذا كان الإنسان قد نما له خلال مليون سنة دماغ أكبر وقامة أقوم ، ويد — فوق هذا وذاك — أصلح للتناول والتصرف والاستعمال »[1] .

ويذكر الأستاذ العقاد عقب هذين الفصلين هذا التعقيب :

« وإذا كان علماء النشوء قد استباحوا لأنفسهم أن يرجحوا وقوع تحول الأنواع وتقدم الإنسان جسداً وعقلا منذ ألوف السنين ، ولكننا لا نعلم أن واحداً منهم أباح لنفسه أن يتنبأ بتطور واحد سيحصل في المستقبل » .

---

(١) ص ٨٠ الانسان ٠٠٠ للعقاد

أدلة من علم التشريح المقارن

٩ ــ الإنسان الزنجي أو كاسر الجوز :

في شهر يوليو ١٩٥٩ (أي بعد صدور كتاب أصل الأنواع لدارون بمائة سنة تماما) وجد الدكتور « ليكي » جمجمة في القارة الإفريقية ، ووجد معها بقايا حيوانات يظن الدكتور أن صاحب الجمجمة كان يصطادها لطعامه ، ويستخدم في صيدها أسلحة حجرية ، وجدت آثارها على مقربة منه ، وقد استقرت هذه الحفائر تحت مجرى « أولدفاي » «بتنجانيقا» وسمى هذا الإنسان باسم علمي معناه « الإنسان الزنجي » ولقبوه في الدوائر العلمية بلقب « كاسر الجوز » لضخامة فكه وضروسه ، ويقدرون تاريخه بنحو ستمائة ألف سنة على حسب قياس الزمن بمقاييسه المتعددة ، ومنها حساب زمن التحجر ، وزمن تكوين الطبقة ، وزمن التطور في تركيب العظام ، وزمن البقايا التي تخلفت من عظام الفك والأسنان » .

« والمحقق كذلك أن الإنسان القديم الذي دلت عليه تلك

البقايا كان يستخدم الآلات الحجرية ويستعين في كفاح أعدائه من الحيوانات الضارية بنصيب من الذكاء لم يكن معهوداً في حيوان منها ، فهو في أقدم عهوده مميز بالعقل ، والنطق ، وهما صفتان إنسانيتان لا تنفصلان عن استخدام الآلة ، ولا عن الخاصة المميزة للحيوان الناطق من اعتدال القامة ، ومطاوعة اليد للإرادة في حالات المشي والوقوف ، ولولا ذلك لما استطاع الإنسان أن يستخدم السلاح وأن يصنعه لإصابة الحيوانات الضارية من بعيد » [1] .

١٠ – زيادة نمو الدماغ في الانسان :

قال الدكتور : بشارة زلزل في كتابه « تنوير الأذهان في علم حياة الحيوان والانسان [2] » :

« فإذا نظر إلى الانسان على سبيل المقابلة للقرود التي هي لا شك أقرب الحيوانات إليه ، يرى أن الانسان عاش منتصب القامة على قدميه ، لأن سلسلة ظهره مقوسة في العنق ، وفي الظهر ، وفي الصلب ، وليس للقردة شيء من ذلك .

---

(١) الانسان في القرآن الكريم للاستاذ العقاد ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) يذكر الاستاذ العقاد أنه قد صدر الاذن بطبعه ١٣ من رجب ١٢٩٧ وتم طبعه بمطبعة الجامعة في الاسكندرية ، ويبين المؤلف فيه بتفصيل الفروق بين الانسان والقردة وينفي تسلسل الانسان من القرد وهذه الفروق كما ذكر العقاد في كتابه ص ١٦٧ وقد نقلنا هذه المعلومات عن كتاب الانسان في القرآن الكريم للعقاد ص ١٣٩ .

وعلة ذلك كما قال بعض المدققين زيادة نمو الدماغ لأنه يؤدي إلى كبر القحف ، فتتغير الجلسة بدليل عدم استوائها في الأطفال ، وبناء عليه تكون موازنة الرأس للبدن سببا لاستواء الجمجمة على العمود الفقري ، وقالوا : إن الأقواس الثلاثة المذكورة تكون في المتمدنين أوضح مما هي عليه في المتوحشين .

وعلى الجملة فإن موازنة الرأس مع البدن في أكثر الحيوانات اللبونة تناط بالأربطة العنقية ، وهي قوية جداً فيها ، وفي القردة بالعضلات المتينة التي تندغم في (القذال ، والسناسن) (النتوءات الشوكية) وهي فيهما أطول وأغلظ مما في الإنسان بضعفين ، ويتوقف عليها وعلى الرأس حفظ الرأس على الوضع الأفقي ، فلا يضغط على الصدر لذلك .

وليس الأمر كذلك في الإنسان ؛ لأن ثقل جمجمته يتكافأ مع ثقل البروز الوجهي ، فيستوي الرأس على الهامة دون أن يكون للعضلات والأربطة العنقية إلا المحافظة على الموازنة المذكورة ، ومقاومة ميل الرأس إلى الأمام ، ولذلك كانت هذه الأربطة في الإنسان ضعيفة » .

وقال الأستاذ بروقا وتابعه كثيرون [1] :

« إن السبب في انتصاب قامة الإنسان واستوائه ماشياً على قدميه إنما هو نمو الدماغ ؛ لأن هذه المشية تجعل اليدين مطلقتي

(١) العقاد المصدر السابق .

الحركة ، والنظر متجها إلى الأفق ، وطفل الإنسان يشبه الدبابات ؛ لأنه عديم الأقواس الفقرية ، فلا يظهر القوس العنقي إلا متى ابتدأ الطفل أن يضبط رأسه في الجلسة التي يعود عليها ، وذلك في الشهر الثالث من عمره ، وفي السنة الثانية يتكون القوس الظهري من جراء فعل العضلات الظهرية والصلبية للقطر السفلي للعمود الفقري ، وذلك إذ يبتدىء الطفل أن يدرج .

وبالجملة فإن الخاصة التي يصدر عنها حسن تقويم الإنسان ، ويتوقف عليها امتيازه على سائر الحيوان وتتفاوت بحسبها مراتب الأمم في المدينة ، إنما هي نمو الدماغ ، وزيادة حجم الجمجمة » .

قال الدكتور بشارة [١] :

وذلك بعد أن ذكر المقارنة الحسابية بين وزن دماغ الإنسان ووزن دماغ القرد ، وقد مر بنا هذا في موضع آخر .

« وعلى قدر نمو الدماغ تزداد سعة القحف ، ويقل البروز الوجهي ، والفرق بين الإنسان ، والحيوانات من هذا القبيل أوضح من أن يبين .

فإذا نظرت إلى جمجمة إنسان من الأعلى لا ترى البروز الوجهي بخلاف ما إذا نظرت إلى جمجمة القردة وغيرها

---

(١) المصدر السابق .

من الحيوانات ، وإذا نظرت إلى جمجمة القرد من جانب ترى الوجه شاخصاً إلى الأمام يؤلف خطا مستطيلا ، وذلك من الخصائص البهيمية .

ويستدل على معرفة درجة هذا البروز بالزاوية الوجهية ،

وفضلا عن ذلك فإن الجزء الوجهي للعظم قليل النتوء في الإنسان ، بخلاف ما هو عليه في القرود ، وإذا نظرت إلى الجمجمة من الوراء لا ترى الثقب المؤخري في جمجمة الإنسان ، وتراه كله أو قسماً منه في جمجمة القرود ،

وهذه الأعراف الدالة على الشراسة ، والصفات البهيمية في القرود غير موجودة في الإنسان ، وهي لازمة فيها عن نمو العضلات المضغية التي يترتب عليها تحريك الفكين الضخمين ، عن نمو عضلات القذال التي يتوقف عليها إسناد الرأس على والعنق .

ومعلوم أن قحف الحيوان الصغير لا يتسع لاندغام هذه العضلات فيه ، فحيث وجدت اضطرت النسيج العظمي في إبان نموه أن يهيء لها مندغما فنشأ عرفا .

والدليل على ذلك أن هذه الأعراف لا توجد في القرود الصغيرة .

آراء سريعة معارضة

١١ ــ مذهب دارون خطأ علمي باطل في الواقع :

« الأستاذ : إبراهيم حوراني عالم لغوي مطلع على المباحث العلمية . ألف في الرد على مذهب دارون رسالة « مناهج الحكماء في نفي النشوء والارتقاء » ثم أتبعها برسالة « الحق اليقين في الرد على داروين » وطبعها في بيروت ١٨٨٦ ردا على مناقشة الدكتور شبلي شميل [١] .

قال الأستاذ حوراني هذا [٢] :

« إن العلماء لم يثبتوا مذهب دارون ، وكذلك نفوه وطعنوا فيه مع علمهم أنه بحث فيه عشرين سنة » .

١ ــ ومن العلماء أيضاً العلامة « ونشل » مع أنه من أشد الناس ميلا إلى القول بالارتقاء بفعل الله .

٢ ــ ومنهم العلامة « ولاس » قال ما خلاصته : إن الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الإنسان ولا بد من القول بخلقه رأساً .

٣ ــ ومنهم الأستاذ « فرخو » قال :

إنه يتبين لنا من الواقع أن بين الإنسان والقرد فرقا بعيداً ،

---

(١) يعتبر من أنصار مذهب دارون ، وقد ألف في هذا بعض الكتب ، وهو لبناني الاصل توفي في القاهرة وقد كاد أن يسبق دارون وأصحابه في الاخذ بالنظرية .

(٢) الانسان في القرآن الكريم للاستاذ العقاد ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

فلا يمكننا أن نحكم بأن الإنسان سلالة قرد أو غيره من البهائم ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك .

٤ ـ ومنهم « ميفرت » قال بعد أن نظر في حقائق كثير من الأحياء :

إن مذهب دارون لا يمكن تأييده ، وأنه رأي من آراء الصبيان .

٥ ـ ومنهم العلامة « فون بسكوف » قال بعد أن درس هو و « فرخو » تشريح المقابلة بين الإنسان والقرد :

إن الفروق بين البشر والقرود أصلي وبعيد جداً .

٦ ـ ومنهم العلامة « أغا سيز » قال في رسالة في أصل الإنسان تليت في ندوة العلم الفكتورية ما خلاصته :

أن مذهب دارون خطأ علمي باطل في الواقع ، وأسلوبه ليس من أساليب العلم بشيء ولا طائل تحته » .

٧ ـ ومنهم العلامة « هكسلي » وهو من اللا أدرية وصديق لدارون قال :

إنه بموجب ما لنا من البينات لم يتبرهن قط أن نوعاً من النبات أو الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعي أو الانتخاب الصناعي .

٨ ـ ومنهم العلامة « تندل » وهو كهكسلي قال :

« إنه لا ريب في أن الذين يعتقدون الارتقاء يجهلون أنه نتيجة مقدمات لم يسلم بها .

ومن المحقق عندي أنه لا بد من تغيير مذهب دارون [1] » .

---

(١) ص ١٠٨ ، ١٠٩ الانسان ٠٠٠٠ للعقاد ٠

رُدُود مَنطقيّة

تركزت الردود السابقة على شيء هام ، هو أن الإنسان متطور عن الحيوان ، ووضحت أن الأمر بالعكس أي أن الإنسان خلق خلقاً مستقلا ، والخلق المستقل إذا ليس فكرة فقط بل حقيقة لا جدال فيها ، تكمل هذه الحقيقة بأن أول إنسان خلق هو آدم أبو البشر ...

وقد نلتقي مع بعض القائلين بالتطور في :

أن هذا الخلق أو التطور على أساس الإيمان بالإله لهذا الكون فهو الخالق ، أو من أودع الكائنات القدرة على التطور على النحو الذي أبطلناه فيما سبق ...

ولكننا الآن نواجه النوع الثاني من القائلين بالتطور ... النوع القائل بأن الحياة تسير هكذا صدفة ...

فالحياة وجدت أول ما وجدت صدفة ، وتتطور إلى أعلى صدفة ..

والفترة الزمنية التي نواجههم فيها هي فترة بدء الحياة أو بدء الخلق ، والعقيدة التي تصحبها ...

١٢ ـ الصدفة لا تخلق نظاماً :

ولنبدأ بصاحب كتاب « العلم يدعو إلى الإيمان » « كريسي موريسون » .

بدأ « كريسي موريسون » فصله الأول تحت عنوان « عالمنا الفذ » بمناقشة منطقية لنفي الصدفة في الخلق ، وضرب لذلك مثلاً فقال [١] :

« خذ عشرة بنسات ، كلا منها على حدة ، وضع عليها أرقاماً مسلسلة من ١ إلى ١٠ ثم ضعها في جيبك وهزها هزا عنيفاً شديداً ، ثم حاول أن تسحبها من جيبك حسب ترتيبها من ١ إلى ١٠ .

إن فرصة سحب البنس رقم ١ هي بنسبة ١ إلى ١٠ وفرصة سحب رقم ١ ، ورقم ٢ متتابعين هي بنسبة ١ إلى ١٠٠ ، وفرصة سحب البنسات التي عليها أرقام ١ ، ٢ ، ٣ متتالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠ وفرصة سحب ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ متوالية هي بنسبة ١ إلى ١٠,٠٠٠ وهكذا ، حتى تصبح فرصة سحب البنسات بترتيبها الأول من ١ إلى ١٠ هي بنسبة ١ إلى ١٠ بلايين .

والغرض من هذا المثل البسيط هو أن نبين لك كيف تتكاثر الأعداد بشكل هائل ضد المصادفة ، ولا بد للحياة فوق أرضنا هذه من شروط جوهرية عديدة بحيث يصبح من

(١) الكتاب المذكور ص ٥١ .

المحال حسابيا أن تتوافر كلها بالروابط بمجرد المصادفة على أي أرض في أي وقت . » ا هـ

ونرى للدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان مثلاً يشبه المثل السابق ، ولكن المثل الجديد يوصف بالطرافة والملاحة .

قال الدكتور [٢] :

« إذا كان لدينا صندوق كبير مليء بآلاف عديدة من الأحرف الأبجدية فإن احتمال وقوع حرف الألف بجوار حرف الميم لتكوين كلمة « أم » قد يكون كبيراً .

أما احتمال تنظيم هذه الحروف لكي تكون قصيدة مطولة من الشعر ، أو خطاباً من ابن إلى أبيه ، فإنه يكون ضئيلاً إن لم يكن مستحيلا » ا هـ .

١٣ ـ كيف يكون مادياً ولا يثبت بداية أصله المادي ؟

القائلون بالتطور فرقتان كما عرفنا .

فرقة تعمم تطبيقه على الكون كله بما اشتمل عليه من مادة وحياة ، وأخرى تقصره على عالم الكائنات العضوية .

فمن أي شيء تطور الكون كله إذن على الرأي الأول ؟

---

(١) هذا ما حاول مثله ، عالم الطبيعة البيولوجوية ، فرانك ألن في كتاب الله يتجلى في عصر العلم ترجمة الدكتور سرحان .
(٢) ركائز الايمان للاستاذ محمد الغزالي ص ٥٧ ، ٥٨ .

ومن الذي أودع الكائنات هذه القوة لتتطور لو سلمنا جدلاً بالتطور المعهود [1] ؟

أما دارون نفسه فيهرب ويقول :

« إنه شيء ميكانيكي »

والشيء الميكانيكي لموجود أصلاً من حيث المادة كما هو معروف عندهم ، وكما كانوا يدعون [2]

فكيف يكون الشيء الميكانيكي خالقاً لمادة من عدم ؟

وتنوع القائلون نوعين من جانب آخر :

نوعاً مؤمناً يفسر الأصول بأنها من صنع الخالق الحكيم .
ونوعاً مادياً يقول : هكذا كان .

و « هكذا » تشبه كلمة الطفل حينما يجيب ، والجاهل حينما لا يعي علة للأشياء .

فكيف يكون مادياً ولا يثبت بداية أصله المادي ؟

١٤ ـ كيف يكون الخالق أحط من المخلوق ؟

هذا السؤال يناقش من يدعي أن الطبيعة بنفسها دون قوة

---

(١) أرجو أن يعرف القارىء أن التطور المعهود هو تطور الانواع من بعضها كتطور الانسان من الحيـوان ، والحيوان من النبات مثلا .

(٢) يلاحظ في مكان لاحق مناقشـة قاعدة « المـادة لا تفنى ولا تستحدث » .

أخرى هي التي ولدت الحياة ، أو أخرجت الحياة ، ووهبتها للكون كما مر بنا عن بعضهم بادعاء التولد الذاتي .

طبيعة جامدة بكماء لا تعي ولا تفقه ، تستطيع أن توجد وتبدع الحركة الواعية المدركة من الانسان والحيوان والنبات . ويأتي الانسان ليسخر هذه الطبيعة ، أو على زعمهم ليسخر خالقـــه .

وكيف يكون هذا ؟

كل هذه الفروض تكون صواباً في حالة واحدة .

عندما يغيب عقل الانسان وإدراكه ، وعندما تزيف له الحقائق ، فيعتمد على أساس فاسد لا أصل له ، ويقع في شراك محبوكة لا يستطيع الفكاك منها .

أما السؤال في العنوان يجيب عنه « لا مارك » مصطنعاً الهدوء دون أساس يعتمد عليه بقوله :

« إن المادة الخرساء الجامدة الميتة قد صنعت كل كائن حي ، وأشرفت على تطويره وترقيته ، ومن ذلك الإنسان العاقل المدرك المفكر [1] »

هكذا يجيب « لا مارك » دون مقدمات معتمدة ، وعلى الرغم من مخالفة تلميذه « دارون » لهذا الاعتقاد .

---

(١) ص ٢٩ من كتاب الاسلام ونظرية دارون .

١٥ ـ كيف صنعت الطبيعة الحياة ؟

ولنفترض جدلا بأن الطبيعة قد صنعت الحياة كما قال « لا مارك » الفرنسي أستاذ « دارون » .

فكيف إذن صنعت الطبيعة هذه الحياة ؟

ولنستمع إلى إجابتهم أولا . إنهم يجيبون بقولهم :

« إن المادة التي نسب اليها القدرة على الخلق والإبداع مسيّرة لا مخيّرة ، ومحكومة لا حاكمة »

فمن الحاكم إذن ؟

لا بد أن يقولوا : إن هناك قوة أكبر من قوة الطبيعة سخرتها ، وسيرتها .

ولمن هذة القوة ؟

ولا بد أن نصل إلى هذه النتيجة .

« إنها لخالق هذه المادة ، وهذه الطبيعة ، وبالتالي خالق الإنسان والحيوان والنبات .

وهذا الخالق الذي اعترفتم به مجبرين هو المبدع لهذا الكون ، وهو المرسل للرسل ، وهو المنزل للكتب ، وهو الذي عرفنا أن اتباع الغير لا بد أن يكون عن دليل فالإسلام علم أتباعه أن الأمور لا تساق هكذا دون برهنة علمية أو فعلية أو عقلية ، والإسلام قد علمهم أيضاً أن يعيشوا في رحاب هذا الكون وينظروا ويتأملوا فيستفيدوا أمرين :

١ – كشف أسرار الكون وقوانينه ، فتستغل في إسعاد البشرية ، وتسخر لخدمة الإنسان .

٢ – أن هذا الكون البديع المنظم المحكم إنما كان عن مبدع حكيم خالق قادر ،

ويترتب على هذين الإيمان الكامل بأن مبدع هذا الكون ، وخالق الإنسان ، هو الذي يعلم علماً يقينياً أن خير هذا الإنسان في اتباع الدين القويم الإسلام، وأن التشريع الذي قد شرعه لمخلوقيه هو التشريع الأقوم ،

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم »

١٦ – العلم البشري لا يعلم نهايات الأشياء :

العلم في تغير دائم .

هذه حقيقة ، بمعنى أن العلم لا يصل إلى نهايات الأشياء ، ولو وصل الى هذه النهايات لجمد ، ولتوقفت حركة الإنسان ،

فنظرية الأمس ، تعدل اليوم ، ثم تنقض غداً .

والتعديل أو النقض بناء عما اكتشف من قوانين جديدة أو أسرار كونية جديدة .

ولا أريد أن أضرب لذلك نظريات متداعية ، ولكني سأضرب مثلا أقوى « قانوناً من قوانين الطبيعة » هذا القانون هـــو :

« المادة لا تفنى ولا تستحدث »

درس هذا القانون عشرات السنين إن لم يكن أكثر في المختبرات العلمية ... وبالطبع لا يمكن لإنسان أن يعارضه أو يناقشه ، حتى ولو اعتمد على أدلة دينية ...

وانقضت حقبة طويلة من الزمن بدأ الإنسان الحديث بعدها بارتياده الفضاء (بمجهوده العلمي) وظهر له في أبحاثه الجديدة شيء جديد .

فما هذا الجديد ؟

الجديد هو تحول المادة إلى غير المادة .

تحولت المادة إلى طاقة ، وتحولت الطاقة إلى مادة وقرأت بحثاً للدكتور أحمد زكي في مجلة العربي يعلن فيه أن القاعدة الجديدة هي :

« مجموع الطاقة والمادة لا يفنى ولا يستحدث »
والأمثلة كثيرة وخطيرة ...

كان « الاعتقاد السائد أنه لا توجد قوة على ظهر الأرض تستطيع أن تشطر الذرة ، بل مشاهير الفيزيائيين العالميين بما فيهم « انشتين » و « بلانك » و « رزرفورد » و « بور » كانوا يعتقدون بعدم إمكان تفتيت الذرة [1] »

---

(١) المهندس قيس القرطاس مجلة الشهاب عـدد ١٥ أيلول ٧٠ نقلا عن كتاب على أطلال المذهب المادي لفريد وجدي .

وجاء بعد ذلك « إيرنكو فرمي » الذي اكتشف خطأ هذا الاعتقاد ، واهتدى إلى تفتيت ذرة « اليورانيوم »[1]

أما لماذا يشتهر إنشتين أكثر من فرمي فهذا غريب .

ولماذا لم يشتهر أيضاً أمثال العالم المصري المسلم علي مصطفى مشرفة الذي اكتشف خطأ وقع فيه انشتين مما جعل الأخير يختاره مساعداً له ، فأمر أشد غرابة .

البحث العلمي أمانة ، على المرء أن يقول : توصلت إلى كذا ويأتي دور غيري ليضيف جديداً ...

أما أن أدعي أني وصلت إلى الحقيقة التي لا جدال فيها كما سنرى في فصل لاحق فأمر لا يمت إلى الحقيقة بشيء .

ومن الخير للبشرية أن تعتقد بأنها لم تصل إلى نهايات الأشياء حتى تستمر في البحث وتكشف عن المجهول ، وتعلم ما لم تكن تعلم ولأن في ذلك بعثاً على الحركة وعدم الجمود على قاعدة .

١٧ – مواقف مخزية لبعض علماء التطور تظهر كذبهم :

أضعك أيها القارىء العزيز أمام نقولات موجزة وسريعة بعض علماء التطور ، وعلى رأسهم « داروين » أستاذهم الأكبر ، وقد مرت بنا إشارات إلى هذا .

---

(١) نفس المصدر السابق .

١ ـ دارون

نقل عن دارون قوله :

« إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت [1] »

وتشبه هذه العبارة،عبارة «لا مارك» السابقة وقد نوقشت في حينهـــا .

ونقل عن دارون أيضاً :

« يستحيل على العقل الرشيد أن تمر به ذرة من الشك في أن هذا العالم الفسيح بما فيه من الآيات البالغة ، والأنفس الناطقة المفكرة ، قد صدر عن مصادفة عمياء ، لأن المصادفة لا تخلق نظاماً ، ولا تبدع حكماً ، وذلك عندي أكبر دليل على وجود الله [2] »

وكتب إليه طالب ألماني في سنة ١٨٧٩ يسأله عن عقيدته الدينية ، وعن العقيدة التي يدعو إليها الأخذ بمذهب التطور ، فكلف أحد ذويه أن يجيبه ويجيب غيره ممن يوجهون إليه هذه الأسئلة قائلاً :

« إن مستر دارون يعتذر لكثرة الرسائل التي ترد اليه ولا يتيسر له الرد عليها جميعــاً ، ويود أن يقول : إن مذهب

---

(١) التطور والثبات لمحمد قطب .
(٢) بين الدين والعلم لنوفل ص ١٢٤ .

التطور يوافق كل الموافقة إيمان المؤمن بالله ، غير أننا يجب أن نذكر أن الناس يختلفون كثيراً في تعريفهم لما يعنونه بالإلـــه [1] »

فإنكار الخالق كما يفهم من العبارة الأولى المماثلة لعبارة «لا مارك» يتغير إلى إيمان بالخالق في العبارتين الاخيرتين وما ذكره من اختلاف الناس في تعريفهم للإله مرجعه تعريف اليهود والنصارى للإله كما سبق ...

٢ ــ جوليان هكسلي :

جوليان هكسلي في كتابه « الإنسان في العالم الحديث » وهو من علماء الدارونية الحديثة يقول :

« وبعد نظرية دارون لم يعد الإنسان تجنب نفسه حيواناً[٢] »

وقد ألف كتاباً آخر أسماه « الإنسان يقوم وحده » أي هكذا دون خالق [٢] .

وانبرى له عالم آخر فألف كتاباً أسماه :

« الإنسان لا يقوم وحده » أراد بذلك أن يقول : إنه يقوم في هذه الدنيا ومعه الله [٣] .

---

(١) ص ١٢٤ من كتاب الانســان في القرآن الــكريم للاستاذ العقاد .

(٢) ترجمة حسن خطاب ومراجعة عبــد الحليم منتصر نقلا عن التطور والثبات .

(٣) عن مقدمة للدكتور أحمد زكي لكتاب العلم يدعو الى الايمان لكريسي موريسون .

وقد قال موريسون :

« إن المتفق عليه عموماً هو أنه لا البيئة وحدها ، ولا المادة ، مهما كانت مواتية للحياة ، ولا أي اتفاق في الظروف الكيموية والطبيعية قد تخلقه المصادفة ، يمكنها أن تأتي بالحياة إلى الوجود[1] » .

٣ ـ هيكـــل :

يقول هيكل وهو أحد علماء التطور :

« إنه لو أعطي ماءً ، ومواد كيموية ، ووقتاً كافيـــاً لاستطاع أن يخلق إنساناً[2] » .

ولو سلم جدلا لهيكل ، بل حتى لو استطاع أن يخلق إنساناً ، فذلك دليل على أن هذا الإنسان الجديد خلق مـــن تدبير وتنظيم ولم يخلق صدفة ، عكس ما يريد هيكل تماماً . « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا لـــه » .

٤ ـ توماس هكسلي :

توماس هذا جد جوليان هكسلي ، وقد كان معاصراً لدارون .

---

(١) العلم يدعو الى الايمـــان لكريسي موريسون ص ٩٧ ترجمـــة الفلكي .
(٢) مقدمة الكتاب السابق للدكتور أحمد زكي ص ٤٥ .

أثار توماس أكبر ضجة ومهاترة ، وحمل لواء الحرب بين العلم والدين لفترة طويلة .

وهو الذي سبق دارون بالقول بنظرية التطور وتطبيقها على الإنسان ... ظل مدة طويلة يدرس كيف بدأت الحياة ؟

فقد كان من الشائع الاعتقاد بالتولد الذاتي ، حيث يشاهد الناس الحشرات تظهر في اللحم الميت ، وكذلك تتولد داخل الأواني المغلقة ، فلما أثبت الطبيب الإيطالي « فرانشسكوردي » أن الحشرات لا تظهر مطلقاً في اللحم إذا غطي بقماش رقيق ، استمر دليل التولد الذاتي قائماً على مشاهدة وجود الديدان المعوية في الإنسان ، حتى ظهر « تندول » و «باستور» وقُضِي على هذه الخرافة قضاء تاماً، إذ عرف ان هذه الديدان إنما تنشأ عن بويضات يتناولها الإنسان على هيئة ميكروب أو جراثيم في طعامه أو شرابه ، وتقدمت الأبحاث إلى أن عرف أن البروتوبلازم هي مادة الحياة الأساسية ، وأمكن معرفة مكوناتها ، ولما اكتشف بعضهم وجود مادة هلامية في قاع البحار اعتقد هكسلي أنها حلقة الانتقال من الجماد إلى المادة الغروية المعروفة باسم البروتوبلازم ، ونادى بنظريته بخلق الحي من الجماد ، ولما اتضح أن هذه المادة إنما هي طين به رواسب مواد عضوية ، اعترف بذلك في دعابة لطيفة أثناء مؤتمر علمي بشفيلد في عام ١٨٧٩ وأعلن أسفه لأنه كان السبب في تضليل كثيرين اعتمدوا على شهرته ، واستشهدوا به في

تأييد التولد الذاتي [1] »

٥ – برتراند رسل :

الفيلسوف الانجليزي «برتراند رسل» يقول في صفاقة نادرة:

« ليس وراء نشأة الإنسان غاية أو تدبير ، إن نشأته وحياته وآماله ومخاوفه وعواطفه ، وعقائده ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة [2] » .

وبذلك ضم رسل نفسه الى جوليان ، وهيكل ولا مارك في هذه المزاعم دون أي دليل أو برهان علمي .

وقد أبطل هذا الزعم علماء النشوء أنفسهم كما سبق .

٦ – أوبارين :

أوبارين هذا عالم سوفياتي طبيعي كبير ، يردد اليوم نفس المزاعم التي كان يرددها فلاسفة الإلحاد أمثال : – هيكل ، ولا مارك – فهو يزعم :

« أن المادة بطبعها دائمة التحرك والتحول ، والتدرج ، وأنه بإمكان الإنسان صنع كائن حي عن طريق مزج عناصر مخصوصة ، تتفاعل بذاتها تفاعلاً كيماوياً ، وبيولوجياً كما حدث بزعمه عند ظهور الحياة الأولى منذ ملايين السنين ولكن العالم الشيوعي قد ارتج عليه عندما سأله البعض :

هل هذا التفاعل الكيماوي الطبيعي في المادة قادر الآن

---

(١) بين الدين والعلم لعبد الرزاق نوفل ص ١٢٦ .
(٢) ركائز الايمان للاستاذ محمد الغزالي ص ٦٠ .

على إيجاد الحياة بالطريقة التي زعم انبثاق الحياة الأولى بها ؟ فقد تلعثم ، ولعلمه بأن هذا القول خرافة في خرافة ، ومن المستحيل على أي انسان تحقيقه فقد قال :

إن هذا لا يزال ممكناً .

وحتى لا يطالب بالتدليل عملياً على صحة زعمه قال :

ولكن هذا ممكن في كواكب أخرى غير كوكبنا يعني الأرض .

وهكذا يتملص الملحدون عندما يدعون إلى البرهنة على صحة مزاعمهم الإلحادية عملياً [1] . ويظل السؤال قائماً دون إجابة من أوبارين .

٧ ــ ليسنكو الروسي :

ليسنكو هذا عنوان مهزلة كبرى في عالم الوراثة والنبات والسياسة ، وخطورة المهزلة نشأت من تبني تجربة فريدة على نوع واحد من النبات لم يكشف عن الظروف التي أحاطت بهذه التجربة إلا أخيراً ...

فماذا كان عن ليسنكو هذا ؟

تحت عنوان « تطويع العلم للسياسة » ذكرت مجلة العربي [2] في باب أنباء الطب والعلم والاختراع ما يلي :

ظهر كتاب اسمه « ارتفاع ليسنكو وسقوطه » وهو تأليف عالم روسي اسمه « زوروس مدفيدس » يعمل في روسيا ، أما ليسنكو فهو العالم الروسي الذي اشتهر بأنه بسبب

---

(١) الاسلام ونظرية دارون لباشميل ص ٢٩ الهامش .
(٢) العدد ١٣٤ شوال ١٣٨٩ يناير ١٩٧٠ ص ١٤٠ .

تجربة وحيدة قام بها على نبات واحد ، خرج بنظرية تناسلية قصد بها خدمة المذاهب السياسية ، التي كانت جارية عند ذلك ، وذلك في عام ١٩٣٥ ، وعلى الأخص المذهب الذي اعتنقه ستالين مذهباً سياسياً لا دخل له بالعلم .

ونال ليسنكو بذلك حظوة كبيرة عند الساسة .

وملخص نظرية ليسنكو الجديدة هي أن الإنسان يستطيع بواسطة البيئة إكساب النبات صفات وراثية في أنساله لم تكن في الآباء ، وأن يغير بنفس الوسيلة صفات وراثية سابقة في الإنسان .

وكان هذا بالطبع مناقضاً لحقائق علم الوراثة المعروفة ، وقام العلماء في أقصى الأرض يعارضونها أما السياسة فشاءت أن تنتفع بأن ما يجري على النبات يجري على الإنسان ، وأنه بتغيير البيئة الإنسانية سياسياً واجتماعياً يمكن تغيير بعض الصفات من جيل إلى جيل .

وكان سقوط « ليسنكو » في بلده روسيا في عام ١٩٦٢ (أي بعد ٢٧ سنة من التجربة) وكان هذا (أي سقوطه) بسبب فشل مشاريعه الزراعية والاقتصادية التي بناها على نظرياته الوراثية » ا هـ كلام المجلة .

تجربة ناقصة وواحدة على النبات ، وتطبق على الإنسان بأوسع نطاق ، وفي كل النواحي ، ولا يجرؤ فرد على المعارضة حتى تمر هذه الفترة ٢٧ عاماً أي بعد موت مشجع النظرية ستالين بعشر سنوات .

كلام يساق للعظة والاعتبار .

كيفَ تُدرَّس نظريَّة دَارْوِنْ في بلَادنا ؟

تمهيـــد

إن التجاوب العلمي شيء ضروري في حياتنا ، والحديثة بالذات ، والأمة الناهضة هي التي تسعى إلى تعليم أبنائها جانبين :

١ ــ جانب العقيدة

٢ ــ وجانب البحث والاستكشاف لكل ما يمكن أن تصل إليه أيدينا أوأفكارنا .

وكلا الجانبين مرتبط بالآخر نوعاً ما .

وما انفصل الجانبان عن بعضهما إلا من وَهْم أو جهل ، والحقيقة : أن من يتأمل كوناً منظماً بديعاً ، ويكشف القوانين والأسرار لهذا الكون فتستغل لصالح الإنسان ، يستشعر عظمة الخالق المبدع فيعبده وحده لا شريك له ، ويلتمس منه الهداية والرشاد .

وما كان الانفصال بين الجانبين إلا نتيجة خطأ تربوي

كبير . هذا الخطأ هو : أن من يدرس الدين مثلا لا صلة له بالعلوم التطبيقية غالباً . ومن يدرس هذه العلوم لا صلة لـــه بالعلوم الدينية غالباً إلا ما ندر من الجانبين ...

والأمر الواجب على كل فرد في الأمة الناهضة أن يتلقى عن فهم وإدراك مقداراً كافياً عن الإسلام ثم يكون التخصص بعد ذلك بما يتناسب وحاجات هذه الأمة ، فلا يجد أي فرد بعد ذلك صعوبة في تجاوب العلم مع الدين أبداً .

والقارىء لما تقدم من فصول عن « نظرية دارون » لا بد أن يخرج بأحد أمرين :

١ — إما أن يعتقد أن « نظرية دارون » في النشوء والارتقاء وأن الإنسان متطور عن الحيوان ، كذب وباطل .

٢ — وإما أن يعتقد أن « نظرية دارون » ليست محل اتفاق بين المختصين من العلماء ، وأنها لم تصل (ولن تصل) إلى درجة الحقيقة العلمية الثابتة عن العلماء باتفاق .

يعتقد المرء الاعتقاد الأول وهو مستريح النفس لأنه قد علم الحقيقة المخالفة لها من دينه . وأن ما عداه كذب .

ويعتقد غير المسلم الاعتقاد الثاني على الأقل ، لأنه يزن الأمور بميزان العلم فقط ...

ولم نتجاهل هذا الصنف الثاني ، بل قد وضعت هذه المذكرة بياناً وإيضاحاً من جهة العلم الذي يؤمن به .

كتاب الأحياء :

تحت عنوان « الخلاصة » ذكر الكتاب [1] :

« سواء أكان التطور قد تم بواسطة الطفرة كما يرى « دي فري » أم بالانتخاب الطبيعي كما يرى « دارون » أم بالاكتساب من البيئة كما يقول «لامارك» فالحقيقة التي لا جدال فيها هي أن الاحياء تتغير وتتطور وتتنوع تحت تأثير قوى مختلفة ، وعوامل متشابكة ، والأدلة كثيرة واضحة على أن أحياء اليوم غير أحياء الأمس ، وأن إنسان اليوم يختلف كثيراً عن إنسان الأمس ، وقد عثر العلماء على بقايا هياكل وجماجم يرجح أنها لسلالات بشرية بائدة ، تتدرج في صفاتها من سلالات قريبة الشبه بالقردة العليا ، إلى سلالات قريبة الشبه بالانسان الحديث ، ولا يصح أن يفهم من هذا ما يقترن دائماً بالتطور من معانٍ تتضمن أن الانسان كان قرداً .

والأصح أن يقال :

إن الإنسان والقرد ترتد جميعها إلى أصول واحدة ظهرت منذ فجر الحياة ، وتطورت في اتجاهات متعددة ، وجاءت القردة العليا في نهاية أحد الاتجاهات وجاء الإنسان الحديث في نهاية اتجاه آخر بحيث يمثل أرقى الأحياء جسماً وعقلا وتكيفاً » اهـ

(١) ص ٥٥٨ من كتاب الأحياء لطـــلاب السنة الرابعة الثانوية لمجموعة من المؤلفين .

هذه أهم فقرة في الكتاب ، وقد كانت لأهميتها في آخر صفحة تحت عنوان الخلاصة .

وقد بدأت الفقرة كما رأى القارىء بالجزم القاطع بعبارتين:

الأولى : فالحقيقة التي لا جدال فيها .

والثانية : والأدلة كثيرة واضحة .

وحين احتاجت الفقرة إلى بيان الدليل الواضح الذي أوصلها إلى درجة الحقيقة العلمية التي لا جدال فيها ، ذكرت أن هناك هياكل وجماجم يرجح أنها لسلالات بشرية بائدة .

فالموضوع ترجيح غير يقين ، إذا كان كاتب الكلمة يقصد معناها فعلا .

فكيف تكون الهياكل في نظر الفقرة لم تصل إلى درجة اليقين ، ولكنها تدل على اليقين ؟

وقد يناقش الكاتب قائلا إني أقصد « يعتقد » فعلى أي أساس يكون الاعتقاد ، وقد وصل الأمر بالنظرية إما إلى الكذب ، وإما إلى عدم ثبوتها علمياً في دائرة المختصين ..

ولم نقل هذا الكلام الآن جزافاً ، ولكن بعد الجولة السابقة الأمينة ...

ثم ماذا ؟

وتقول الفقرة أيضاً :

« ولا يصح أن يفهم من هذا ما يقترن دائماً بالتطور من

معان تتضمن أن الإنسان كان قرداً » اهـ

قد يتبادر الى أذهان الساذجين من البشر أن العبارة بدأت تعتدل ، وأن خلق الإنسان على نحو خاص دون الحيوان ...

وكل هذا يذوب إذا قرأنا العبارة اللاحقة :

« والأصح : أن يقال : إن الإنسان والقرد ترتد جميعها إلى أصول واحدة ظهرت منذ فجر الحياة » .

فلم تقبل الفقرة أن ترد الإنسان إلى القردة العليا ، بل ردت الإنسان إلى ما دون القردة فقد أثبتت ما أوهمتنا أنها تنفيـــه ...

فلننظر إلى أي مدى خالفت هذه الفقرة الحقائق العلمية ؟ ثم يدعي : أن ما في الفقرة هو الحقيقة العلمية .

كتاب الأحياء ، وكتاب الجيولوجيا وجهاً لوجه :

علمنا من الفقرة السابقة منهج كتاب الأحياء للسنة الرابعة فما المنهج الذي سار عليه كتاب الجيولوجيا لنفس السنة ؟

وهذه عبارات من الكتاب الأخير بما لها وما عليها :

تحت عنوان « فوائد دراسة الحفريات » ذكر الكتاب [1]

« ... إنها تساعد على إثبات نظرية التطور ، فمن اختبار الحفريات التي تحتويها الطبقات المكونة للقشرة الأرضية ، يتضح

---

(١) ص ٤٤ .

أن هناك رقياً مستمراً في الأنواع من أقدم العصور إلى أحدثها ، فأقدم الطبقات لا تحتوي من الحيوانات ، والنباتات إلا أدناها مرتبة ، وأبسطها تركيباً ، بينما الطبقات التي تليها تحتوي بالتدريج الأرقى فالأرقى حتى تبلـغ أرقاهـا في أحـدث الطبقات » اهـ

والعبارة الأخيرة كما ترى تثبت دون نقاش أن الحفريات التاريخية تساعد على إثبات تطور الأنواع عن بعضها ، بما في ذلك الإنسان بالطبع .

ولكن شيئاً جديداً في الكتاب قد ظهر .

الشك في الآثار والاستنتاجات منها ، وأن العلماء لم يعثروا ما يدل على اليقين والحقيقة التي لا جدال فيها ، ولكنهم منتظرون :

تحت عنوان « الإنسان في العصور الجيولوجية [1] »

« وسنبقى في شك من حيث تحديد العصر الذي بدأ فيه ظهور الإنسان على الأرض حتى تكشف آثار لا يحيط بها أي شك أو غموض » .

وإليك عبارة أخرى :

« ولقد كان البحث يكشف لنا من وقت لآخر آثار الإنسان الأول — في مختلف الطبقات ، استنتج منها بعضهم

---

(١) ص ١٥٣ من الكتاب نفسه .

أن بدأ حياته على سطح الأرض في غضون العصر الميوسيني ، على أن هذه الآثار لم تكن واضحة لدرجة يقبلها الجميع برهاناً على هذه النتيجة ، ذلك لأن العظام التي قيل إنها إنسانية لم تتوافر فيها كل الخواص لعظام الإنسان ، وقد تكون لنوع راق من القردة تشبه الإنسان في بعض صفاته » اه

أرأيت أكثر من هذا اعتدالاً وأمانة في عرض المعلومات هنا الآثار غير واضحة ولا تصلح أن تكون برهاناً وفي عبارة كتاب الأحياء الآثار والدلائل واضحة تماماً حتى العظام التي نسبت زوراً للإنسان ...

تذكر العبارة أنها قد تكون أيضاً لغير الإنسان .

وقد افترضت العبارة جدلا وجود آثار للإنسان الأول ولكنها لم تقل إن الجميع يؤكدون أن هذه الآثار تدل دلالة واضحة على شيء ما بل قالت : إن بعض العلماء وليس كل العلمـــاء .

فأي العبارات صواب إذن ؟؟ ! !

نظرية الكوارث

مر بنا حديث العالم الأنثروبولوجي فيركو في كتابه : « النوع الإنساني » عرفنا منه احتمال نسبة بعض الحفريات إلى المرضى أو المشوهين الموجودين في كل عصر أو زمن .

وهذا الاحتمال ينسف الاستنتاجات حتى ولو كانت صحيحة .

ولخوف أنصار التطور من ذكر نسبة المرض والتشويـــه ذكرت لصالحهم هذه العبارة في كتاب الجيولوجيا [1]

« وقد أقامت مشاهدات داروِن والاس ، وسبنسر وغيرهم من أعلام المفكرين في القرن الماضي البرهان على فساد نظرية الكوارث [2] . فأثبتوا أن الحياة منذ خلقتها الأولى على وجه الأرض هي دائماً مستمرة ، ولكنها في تغير وتحول بطيء ومستمر ، وأن من الأنواع البدائية البسيطة الأولى نشأت تدريجياً أنواع أرقى فأرقى حتى نشأت أرقى أنواع المخلوقات ذات النظام الجسمي المركب » اه

وتذكر العبارة هنا أموراً سبق أن نفتها .

عبارة تنفي وجود برهان ، وأخرى تثبت وجود برهان

وإذا كان من برهان أين هو ؟ وما مقدار درجته مـــن الناحية العلمية ؟

الخلق الخاص :

المقصود بالخلق كما مر أن الأنواع خلقت خلقاً مستقلا غير متطور عن نوع آخر ، فنوع الإنسان خلق خلقاً مستقلا غير متطور عن الحيوان ، وهذا هو الموافق لما سبق من البحث ،

---

(١) ص ١٣ من الكتاب نفسه .

(٢) نظرية الكوارث جاءت هكذا مبهمة ، وان كانت تدل بوضوح الى أن ما حدث للأمم السابقة من عقاب بالخسف والصعق كذب في رأيهم ، وينقل المؤلفون هذا في صورة الموافقة ، والدعوة والتأكيد . فتأمل خطورة ذلك .

وهو الذي قرره الإسلام ، وصار موضوع الخلق الخاص بناء على هذا حقيقة وليس نظرية خاضعة للصواب والخطأ ...

وقد وردت عبارة [1] في كتاب الأحياء تتضمن جانبين :

١ ـ الجانب الأول عقيدة علماء التطور .

٢ ـ الجانب الثاني الخلق الخاص .

وإليكم العبارة التي وردت في الكتاب في بداية عرضه لنظرية التطور العضوي :

« ولا بد لنا من الإشارة إلى أن الكثير من العلماء ، أنصار نظرية التطور هذه مؤمنون بالله وبقدرته ، ويرى هؤلاء أن قدرة الله تعالى تتجلى في هذا النظام الرائع الذي بنيت الحياة على أساسه ، والذي كان المنظم للتطور بتفاصيله ومبناه ، وهم يرون أن أنصار فكرة الخلق الخاص إنما يخطئون عندما يتلمسون قدرة الله في خلق كل نوع على حدة ، لأن كثيراً من هذه الأنواع نماذج فاشلة ، انقرض كثير منها . وبقي بعضها متعلقاً بأهداب البقاء » اهـ

وأصبح عرض قضية الخلق الخاص على أنها فكرة ، وليس ديناً حتى يسهل ابتلاعها ، وبالرغم من معارضة العبارة للكثير من علماء التطور أنفسهم .

وكان لا بد على الكتاب بيان فكرة الخلق الخاص كما قال .

---

(١) ص ٥-١٠٥ من الكتاب نفسه .

حتى يوضح كل جانب باعتدال ، ولم يرد في الكتاب عن بيان الخلق الخاص غير هذه الأسطر القليلة وهي :

« ويؤمن أنصار هذه الفكرة بأن الله جلّ وعلا خلق الحياة ، وخلق كل نوع من أنواع الكائنات الحية خلقاً خاصاً مستقلا بشكله وتركيبه ، بحيث إن الأنواع هذه كانت ولاتزال ثابتة لا تتغير ولا تتطور ، وكل نوع منها مستقل عن أي نوع آخر ، وغير مرتبط به بأية صلة » اه

ولأن خلق آدم مشهور ومعروف لا يمكن إذن لأمثال هؤلاء أن يذكروه ، لأنهم بذلك يثيرون عامة المتدينين ، فعليهم إذن بالكلام العام ، الذي يمكن تفسيره فيما بعـــد بالتفصيل ...

التشابه والاختلاف :

سبق في المذكرة فصل المقارنات التشريحية بين الإنسان والحيوان ، وظهور الفرق بينهما ...

ومنذ أن كانت الخليقة وكل إنسان يعلم : أن الحيوان يبصر بعينيه كما يبصر الإنسان بعينيه ، وأن العينين في رأس كل منهما .. وأن لكل أذنين وأطرافاً أربعة ... والكل يأكل ويهضم الأكل في الأمعاء ، والكل يتنفس ولكل رئتان ...

هذه أجزاء يتشابه فيها الحيوان والإنسان ...

فمسألة التشابه هذه ليست مسألة خفية بل ظاهرة منذ

فجر الحياة ، ولم يأت فرد ليقول إن هذا التشابه يعني تطور واحد عن الآخر ...

ولا بد لمدعي التطور أن يعقدوا هذا التشابه بين الإنسان والحيوان حتى يثبتوا ما يزعمون ، فإذا ما ذكروا هذا التشابه الواضح المألوف للناس لم يستطيعوا أن يوهموا الناس بحقيقة التطور ،

وجنحوا إلى التشابه الخفي ، وتركوا التشابه الظاهر دون سبب معقول ... ووضعوا أساساً مسبقاً لتفكيرهم في هذا السطر المركز من كتاب الأحياء :

« كل هذا (أي التشابه) لا يمكن تفسيره إلا إذا قبلنا بنظرية التطور العضوي [١] »

وضرب الكتاب أمثلة لهذا التشابه متناسياً التشابه الظاهر ذاكراً التشابه الخفي ، وتلك عبارة :

« فالزائدة الدودية عند الإنسان ، وآكلات اللحم هي عضو ضامر أثري ، بينما نجدها كبيرة فعالة عند الثدييات آكلات العشب » « والفقرات العصعصية عند الإنسان ما هي إلا بقايا ذنب ، ويدل على ذلك تعدد الفقرات الذنبية في الجنين ، وولادة بعض الأطفال بذيول قصيرة (يمكن استئصالها بعملية جراحية) [٢] » .

---

(١) ص ٥٤٠ من كتاب الأحياء .
(٢) ص ٥٤٥ من كتاب الأحياء .

فليست دلالة تقارب الزائدة الدودية في الإنسان وآكلات العشب بأكثر دلالة من توافق العين في كل ، ووحدة الخلق ظاهرة في كل شيء ، لأن الخالق سبحانه واحد ، بل هناك التوافق بين أصغر شيء في الوجود ، وأكبر شيء في علم البشر ...

هذه الذرة التي تكمن في وسطها النواة ، وتدور الكهارب أو الأكترونات حولها بانتظام ، مهما اختلف عدد الكهارب تشبه وتوافق الشمس وتدور حولها عدة من الكواكب ... فالتوافق ظاهر ، بل ويدل على هذه الحكمة . وحدة الوجود لأن الخالق واحد ، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

وكان الذي يجب حين يؤلف هذا أن ينظر إلى ما يرد إلينا نظرة علمية فاحصة ، تناقش ، ولا تسلم دون دليل بحجة أنها واردة من الغرب وفقط ، ويرفض الغير بحجة أنه من بيئتنا فقط أو لسبب أشد من ذلك .

وقد ذكرت الكثير عن هذا الغرب المعارض لما يذكرون من آراء حتى يراجع المؤلفون أنفسهم في اعتقادهم لهذه النظريات ، وعرضهم لها في كتب تعليمية .

ولعلهم أيضاً قد سمعوا من الإذاعة البريطانية القسم العربي جواباً عن سؤال حول نظرية دارون وأصل الإنسان ...

وكان من الجواب :

أن نظرية دارون وأصل الإنسان ليس عليها دليل ثابت ،

وأن الصحيح أن الإنسان خلق خلقاً مستقلا

وقد سمعت هذا بأذني منذ سنة تقريباً .

العالم يكرم عالماً يقول بالخلق الخاص :

من هذا العالم ؟

إنه مفخرة مصر ، والعرب ، والمسلمين .

إنه الدكتور زغلول النجار .

١ ــ حصل على بكالوريوس العلوم بمرتبة الشرف من جامعة القاهرة ٥٥ وكان أول دفعته فمنحته الجامعة جائزة مصطفى بركة للجيولوجيا عن السنة نفسها .

٢ ــ ثم حصل على درجة دكتوراه الفلسفة في الجيولوجيا من جامعة ويلز ببريطانيا ٦٣ وأوصت لجنة الممتحنين بتبادل الرسالة مع جامعات العالم ونشرها بالكامل .

٣ ــ منحته جامعة ويلز درجة زمالتها سنة ٦٣ كما فاز بدرجة زمالة روبرتسون للأبحاث فيما بعد الدكتوراه ، وواصل أبحاثه عليها من سنة ٦٣ إلى ٦٧ وهي أعلى درجة زمالة في الجامعات البريطانية ، وتمنح مرة كل سنة للمبرزين من العلماء في مختلف مجالات العلوم البحتة والتطبيقية .

٤ ــ له أكثر من ثلاثين بحثاً منشورة وتحت النشر في بريطانيا والولايات المتحدة والدانمرك وفرنسا وسويسرا وألمانيا وروسيا ، وقد نشر له المتحف البريطاني أحد مؤلفاته في عدد

تذكاري خاص من أكثر من ثلاثمائة صفحة وإحدى وأربعين لوحة ، وقد طبع ذلك المؤلف أربع مرات باللغة الانجليزية كما ترجم إلى الألمانية والروسية ، وعلق عليه في كثير من المجلات العالمية، وقد منحته الجمعية الجيولوجية بلندن جائزة أحسن بحث نشر في بريطانيا سنة ١٩٦٦ ووسام مشيزون عن نفس السنة .

كذلك نال أحد أبحاثه وقد نشر بمجلة الجمعية الأمريكية لجيولوجي البترول جائزة أحسن نشر بالمجلة سنة ١٩٦٦ .

وللدكتور النجار نظرية جديدة في علم طبقات الأرض تتعلق بطرق تقسيم الصخور [١] .

وإن كنت أذكر كل هذا التعريف لأطمئن الكثير من الزملاء حول ما أنقل عنه من الكلام .

ألقى الدكتور زغلول النجار محاضرة عن طبقات الأرض والتدرج في الخلق .

فمما قال :

إن الله سبحانه وتعالى أول ما خلق من الكائنات الحية ، النبات وسبق خلق النبات خلق الحيوان لأن الحيوان يحتاج لاستمرار وجوده إلى النبات فكان خلق النبات أسبق لهذه الحكمة . وكان خلق الإنسان بعد خلق الحيوان والنبات ، لأن

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية ت ٤ـ٨ـ٧٠ ، وقد سمعت مقدمـــا لاحدى محاضرات الدكتور يذكر الكلام نفسه أمامه .

حياة الإنسان تحتاج لاستمرارها إلى وجود الحيوان والنبات ليسخر الحيوان ويأكله مع النبات ، وما يخرج من ثمار ...

ولو كان العكس لما صح ...

وكان في المحاضرة أشياء أخرى قيمة مثل :

١ ـ عظمة الله بين قوة التكبير وقوة التصغير .

٢ ـ كالذكر والأنثى البروتون والألكترون .

٣ ـ نظرية جديدة في أصل الأرض .

٤ ـ دورة الصخور والاتزان الأرضي .

٥ ـ السطح والعمق حركة لا تهدأ .

٦ ـ المجموعات النجمية ...

٧ ـ دورة الهواء معجزة . الخ ...

٨ ـ ما أحوج قلوبنا للتأمل .

وذكر تحت العنوان الأخير :

« وهنا يقف الإنسان الذي لا يتعدى متوسط عمره في أفضل الأحوال ٣٥ عاماً يقف مشدوهاً أمام أرض عمرها ٥٠٠٠ مليون سنة ، وفوق تراب تكونت ذراته منذ أكثر من ٧٠٠٠ مليون سنة ولسانه يردد :

« لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس و لكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وتجمع الناس حول المحاضر بعد أن ختم محاضرته ، وذهبت إليه أيضاً لأستوضحه عن موضوع شغلت به ، نظرية دارون ، أو تطور الإنسان عن الحيوان ...

فقلت له سائلا :

لم تعرفنا عن خلق الإنسان الأول ..

أكان خلقاً مستقلا عن الحيوان ؟

أم كان متطوراً عن الحيوان كما يقول علماء التطور ؟

فقال :

إن العلماء إلى الآن لم يستطيعوا أن يثبتوا تطور الإنسان عن الحيوان ، ولا زالت هناك فجوة هائلة جداً بينهما ...

وأن الذي أعتقده ، أن الإنسان الأول كان خلقاً مستقلا أوله آدم . اه

ما رأي المؤلفين إذن بعد هذا الكلام من ذاك الرجل؟. وما الذي كان سيحدث لو كلف أمثال الدكتور بتأليف الكتاب؟ .

مَا الهَدفُ مِنْ إشَاعةِ نظريَّة باطِلة ؟

نعم ما الهدف الذي يكمن وراء ذيوع وانتشار هذه النظرية على الرغم من عدم ثبوتها ، أو عدم الاتفاق عليها من المختصين؟

ولا بد أن نعتمد في ذلك على نصوص قالها عدو لنا والذي يرجع إليه الدور الكبير والأول في انتشار « نظرية دارون » وسنتبين من مناقشة هذه النصوص الغايات والأهداف .

وردت في البروتوكول الثاني من الخطر اليهودي أو بروتوكولات حكماء صهيون هذه العبارة : [1]

« لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ، ولاحظوا أن نجاح دارون ، وماركس ، ونيتشه قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد »

وتمالك نفسك أيها القارىء العزيز لتعرف أكثر من هذه السطور المتقدمة .

---

(١) ص ١٢٣ ، ١٢٤ الطبعة الرابعة ٠

ينقل كتاب التطور والثبات عن البروتوكولات هذه العبارة [1]

« إن دارون ليس يهودياً ، ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ، ونستغلها في تحطيم الدين » اهـ

أرأيتم الهدف الكامن من انتشار نظرية على الرغم من بطلانها ؟

بذل اليهود جهود الجبابرة لتوسيع الهوة التي قامت بين الدين والداروينية ، على أمل تحطيم الدين في النهاية ، تحقيقاً لحقدهم القديم ضد غير اليهود عامة ، وحقدهم في أوربا على المسيحيين بصفة خاصة ، من أجل ما لاقوه منهم من اضطهاد .

واستغلت اليهودية العالمية نظرية دارون أبشع استغلال ، استغلته على يد ثلاثة من أكبر علمائها ، قاموا بصياغة الفكر الأوربي كله في ميدان الاقتصاد ، وعلم النفس والاجتماع ، اخطر ميادين ثلاثة في عالم الفكر ، على أساس معاد للدين ، أبل محطم لكل مفاهيمه .

أولئك هم :

ماركس ، وفرويد ، ودوركهايم [2]

ومن مقال للأستاذ العقاد .... قال ما نصه : [3]

---

(١) ص ٣٣ من كتاب التطور والثبات لمحمد قطب .
(٢) ص ٣٤ من التطور والثبات .
(٣) مقدمة الخطر اليهودي للاستاذ محمد خليفة التونسي ص ٧٧ الطبعة الرابعة .

« إن إصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان .

فاليهودي كارل ماركس وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان ،

واليهودي دركهايم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب .

واليهودي — أو نصف اليهودي — سارتر وراء الوجودية التي نشأت معززة لكرامة الفرد فجنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال .

ومن الخير أن تدرس المذاهب الفكرية ، بل الأزياء الفكرية كلما شاع منها في أوربة مذهب جديد ، ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراء ها من عوامل المصادفة العارضة والتدبير المقصود » انتهى كلام العقاد .

ويعقب المترجم بعد نقل النص السابق بقوله :

« وقل مثل ذلك في العلامة سيجموند فرويد اليهودي الذي هو من وراء علم النفس ، يرجع كل الميول والآداب الدينية ، والخلقية والفنية ، والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية كي يبطل قداستها » اهـ كلام التونسي .

نصوص خطيرة تبين بداية الخيط والمؤامرة ، والوسيلة التي استغلت ...

وهذا نص آخر يبين السلوك اليهودي في منتصف المؤامرة .

« في سنة ۱۹۰۰ دخل قره صوه أفندي على السلطان بفضل الفريق عارف بك ، وأبلغه أنه موفد من قبل الجمعية الصهيونية ، وانه قادم يطلب إليه إعطاء تلك الجمعية الأراضي الواقعة في المثلث القائم ما بين يافا وغزة والبحر الميت مقابل خمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية ، تدفعها الجمعية الصهيونية هدية إلى الخزينة السلطانية الخاصة ، وعشرين مليوناً تعرضها الجمعية الى الحكومة دون فائدة لمدة تعينها الحكومة ، فغضب السلطان وطرده من حضرته .

(وقد كان السلطان عبد الحميد قد أصدر فرماناً في ۱۸۸۸ بمنع الهجرةالجماعية اليهودية إلى أراضي الدولة العثمانية ، ومنها فلسطين طبعا ، كذلك قرر عدم السماح للحجاج اليهود بالبقاء أكثر من ثلاثة أشهر في فلسطين) .

وعلى الأثر ألف اليهود جمعية سرية أكثر أعضائها من اليهود المعروفين بالدونمة ، والدونمة كما هو معروف لقب يطلقه الأتراك على جماعة اليهود الذين هاجروا من أسبانيا واستوطنوا « سلانيك » وهم طائفة يتظاهر أفرادها بالإسلام مع احتفاظهم باطنا بالدين اليهودي (وبمجرد نجاح المؤامرة ، واستيلاء تنظيمهم على السلطة ، أعلنوا يهوديتهم التي أخفوها أربعة قرون ... فتأمل) ـ

ومنهم جاويد بك، وبعض كبار رجال الاتحاد والترقي .
فاتصلت بأحرار الترك .. ودخل أعضاؤها حزب الاتحاد والترقي ... وتعاونوا مع كثيرين من شبان الضباط كأنور ونيازي ، وكانت لهم اليد الطولى في الانقلاب الثاني ، وخلع عبد الحميد ، وتبلغ المأساة الذروة .

ومما يؤسف له أن الأحرار لم يختاروا لتبليغ قرار الخلع إلى عبد الحميد غير عمانوئيل قره صو أفندي زعيم يهود « سلانيك » الذي طرده عبد الحميد [1] اهـ

وهذه العبارة التاريخية التي تصور لقاء اليهود في منتصف الطريق ، تبين إلى أي مدى استغلت الآراء والأفكار في تحطيم الدين .

ألا ما أبشع هذا الاستغلال !

وما أبشع أن نكون جهلاء بحقيقة الدور الذي تلعبه اليهودية في تزييف الحقائق ، ونشر ما يبعث على الفساد والانحلال .

وما أبشع أن نقف نحن اليوم ضد عبد الحميد ، ومع

---

(١) هامش كتاب خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ للاستاذ عبدالله التل ، وصرح المؤلف بأن القصة نقلتها أيضا مجلة فلسطين البيروتية بعددها رقم ٣١ من مذكرات السيد فخري البارودي . .
وذكرت العبارة أيضا في كتاب : القومية والغزو الفكري لمحمد جلال كشك ص ٢٢٤ ، ٢١٥ وقد صرح بأنه نقل العبارة من كتاب « خطر الصهيونية على الاسلام والمسيحية » وذكر موجز لهذه العبارة على غلاف مجلة المجتمع ٤ـ٨ـ ١٩٧٠ .

عمانوئيل قره صو ويمكن من خلال هذه القصة التي ذكرت أن نعلم :

لماذا يشيع في مجتمعاتنا الحقد الدائم والكره المستمر لكلمة خليفة وبخاصة إذا وصفت بكلمة عثماني ، دون دراية بأن الوضع الذي أزال هذا الخليفة العثماني الذي لم يرض بأي حال أن يوطن اليهود في فلسطين ، هو الذي اعترف بوجود إسرائيل على أرض فلسطين .

وبذلك نفّس الحقد اليهودي عن نفسه ، والغير بعيد عن الأبعاد الحقيقية لقضيته ، واستطاع أن يغير مفاهيم الأشياء بالتزوير والتزييف ...

والأمة الناهضة التي تريد لنفسها الخير عليها أن تكشف التزوير والتزييف الذي يحاك ضدها ، حتى تتبين الخير من الشر .

مغالطات :

قالوا :

إن المبادىء الجديدة المعتمدة على فكرة التطور الداروني تبني الرجال الأقوياء الذين تعتمد عليهم دولهم .

وقالوا :

إن الدين مخدر للشعوب ، وأفيون الشعوب

وقالوا في تعريف الإسلام : (١)

(١) المعجم الفلسفي المكتوب من وجهة النظر الشيوعية (موسكو ١٩٦٧) نقلا عن هامش كتاب ماركسية القرن العشرين لسكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي والهامش للمترجم نزيه الحكيم ص ٢٥ .

إنه « يبرر الظلم الاجتماعي ، ويصد الناس عن الكفاح الثوري ، ويدفعهم إلى انتظار بليد للسعادة في الآخرة » اهـ

إن التطبيق للفكر اليهودي بالحرف ، حتى في تعريف الإسلام ، في معجم رسمي دولي .

وصارت الدعاية المزيفة البعيدة عن الحقائق ضد الإسلام على أوسع نطاق ، تلعب اليهودية الدور الأكبر ظاهراً أو باطناً فيه .

وبعد هذا التزييف ما الذي صار ؟

ضيـــاع

كان الضياع .

الضياع لجيلهم الذي انتظروا له الصعود والتطور إلى الأمام . جيل دارون .

وفي عام ١٩٦٢ صدر تصريح من خروشوف قال فيه :

« إن الشباب الشيوعي قد بدأ ينحرف ، ويفسده الترف وإن من بينه «عصبجية وصيعاً» وأنذر بأن الحكومة السوفيتية تبحث إطلاق يد البوليس في معالجة هؤلاء « البلطجية » كما أنذر بأن معسكرات جديدة قد تفتح في سيبريا للتخلص من الشباب المنحرف ؛ لأنه خطر على مستقبل روسيا . » (١)

خبر مفجع للكثيرين لأنهم لم يتصوروا مثله

---

(١) التطور والثبات لمحمد قطب ص ١٧٣ .

وضم عام ١٩٦٢ اعترافين خطيرين في موسكو :

الأول : اعتراف بفشل المزارع التي أسست على نظريات ليسنكو بعد ٢٧ عاماً من تطبيق نظرية خاطئة ، تعتمد على الغاء الوراثة كما تقدم .

الثاني : اعتراف بأن النظام الجديد لم يخلق رجالا كما زعموا وأعلنوا ... ولكن النظام كان سبباً في خلق شباب مائع منحل .

وانتهى صاحب الاعترافين إلى الأبد ، حتى لا يكون اعتراف ثالث .

وفي نفس العام ١٩٦٢ قال كنيدي :

« إن الشباب الأمريكي مائع منحل مترف ، غارق في الشهوات ، وإنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، بسبب انهماكهم في الشهوات ، وأنذر بأن هذا الشباب خطر على مستقبل أمريكا ، وأهاب بالعلماء والمصلحين الاجتماعيين أن يبحثوا هذا الخطر ، ويقرروا العلاج »[1]

واتسم موقف كنيدي بالجد .

فماذا كان له ؟

كانت له نهاية أسوأ من زميله خروشوف .

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٢٣ .

رصاصة وسط جموع غفيرة لأكبر رجل في أكبر دولة فيقتل ، ولا يعلم أحد مصدرها . غريب فعلا ..

وحينما تشير بعض الأصابع إلى واحد بالاتهام سريعاً ما يقتل بحجة الحماسة ، لتختفي الجريمة إلى الأبد .

وليتعلم الناس أن الحرية لها ثمن كبير قد يكون النفس .

وأن من يريد الإصلاح ومواجهة الواقع ، يكون جزاؤه الاغتيال تماماً كمن يحاول نشر أو طبع البروتوكولات التي تفضح اليهود من عام ١٩٠٥ إلى الآن .

وأصبح دارون قائداً :

نعم قد أصبح دارون قائداً ، أو صنع الملايين من البشر منه قائداً ، كما اعترفت البروتوكولات .

ويجب أن نعلم علماً أكيداً أن بعض النظريات العلمية الوافدة إلينا ، أو التي فتحت لها نوافذ بيوتنا لتدخل منها ، لم توضع أصلاً للدعوة إلى الإلحاد والتحلل ... ولكن دعاة الكفر والإباحية استغلوا شهرة هذه النظريات استغلالا كبيراً فجعلوا منها الوسائل المتنوعة والمتعددة، للتغرير بالقاصرين السطحيين من البشر ، حتى يجروهم إلى هاوية الكفر والضلال ، أو للبعد عن مراكز القوة ، ليكون المغرر الماكر فقط هو المتسلط في الأرض ، وغيره من البشر لا يدري ما يحاك له وما يدبر بشأنه .

المهم أن دارون أصبح بنظريته قائداً على أي حال وضع

أساس الحط من شأن الإنسان لأنه وجد نفسه فاقد الأم والحنان في بداية حياته .

فكانت نظريته انعكاساً لما يعانيه من ألم ، وكانت رحلته إلى إحدى الجزر ليرى طيوراً مختلفة عن منطقته الأولى ، فيوحي إليه الاختلاف بالتطور ...

وتوقف دارون عند هذا الحد .

وجاء بعده زبانية استغلوا هذه النظرية ، كما اعترفت البروتوكولات ، ليجعلوا هذا النهج سلوكاً ، ومذاهب ، وليدروفوا الأخلاق ، والمثل العليا ، ولتقـــاد البشرية كالسائمه البلهاء إلى الهاوية .

ماركس يأتي ويقول :

لا قيمة لهذا الإنسان ، ولكن القيمة للقمة الخبز التي تحركه وتدفعه ، وتصنع منه شيئاً ، فعلى المرء أن يصنع هذا الإله ، ويهتم به جيداً ، ويكون المنطلق البشري أي لقمة الخبز والتفسير المادي للتاريخ .

وبذلك انحط الانسان كما أراد دارون .

وفرويد يأتي ويقول :

إن الجنس أي الغريزة الجنسية هو كل شيء ، وهو الدافع الحقيقي لكل حياة الإنسان ، وأن ما عداه دونه أو لا فائدة منه ، وألغى حنان الأم والأب ، أوشك في حنانهما ، وكما

هو معروف في تفسيره بعقدة أوديب وعقدة ألكترا ،

وذلك كله للحط من قيمة الإنسان كما أراد دارون .

ودور كهايم يأتي ويقول :

إن المجتمع هو صانع الأفراد . القيمة له . وأن الأفراد مصيرون له ، فعلى الأفراد أن يلتزموا ما يدعو إليه المجتمع ، وعليهم أن يلبوا رغبات المجتمع راضين أو كارهين .

وذلك كله ليدار مجتمعه بأيد ملوثة ، وعلى الأفراد الطاعة للسير بهم إلى الهاوية .

وبذلك ينحط الإنسان كما أراد دارون .

وسارتر يأتي ويقول :

« إنه لا يوجد لدى الله أي حل لأي مشكلة من مشكلات الوجود ، لأن الله غير موجود ، ولأن الحلول الدينية للمشكلات تحد من الحرية الوجودية ، لأن الوجودي لم يختر هذا الحل ، وإنما فرض عليه فرضاً .

فالدين عنده خرافة ، لأنه نسيج من الاتجاهات العقلية أو الغيبية ، يجب أن تؤمن بها ولو لم تحسها في نفسك »[1] .

وتتضح من النص الأخير ، هذه الحرب للدين التي أعلنت عنها البروتوكولات ، وامتثال سارتر لمبدأ الحرب .

وذلك كله لينحط الانسان كما أراد دارون .

---

(١) الوجودية والاسلام لمحمد لبيب البوهي ص ٢٠ .

ويمكنك أن تفسر إذن المقصود من الدعاية الفخمة التي نالها سارتر وعشيقته حينما كان بالبلاد العربية ، قد كان يقال إن علاقته بعشيقته أسمى من علاقات أزواجنا ، إلى هذا الحد

طالما أن المبدأ هو محاربة الدين بكل الصور ودون أساس .

ثم كان للوجودية دعاة آخرون ، منهم جبريل مارسيل الذي أعلن فلسفته عام ١٨٨٩ قائلا :

« إن محور فلسفته الوجودية هو الجسد ، فكل إنسان تنبه إلى أول شيء في وجوده فوجد نفسه ، فالجسد الإنساني هو الأصل الذي وجدت الذات نفسها فيه ، وإذا كانت أهم مبادىء الوجودية هي الانفرادية ، فكل إنسان إذن يختلف عن الآخر في اتجاهه الوجودي ما دام يرى نفسه حراً . »[١]

وصارت الوجودية التي استغلت نظرية دارون سبباً في انحدار ملايين من البشر خلقياً وسلوكياً .

ويلتقي دارون ، وماركس ، وفرويد ، ودوركهايم ، وسارتر عند نقطة واحدة : هي حيوانية الانسان ...

ويحسون مقدار الخطورة عليهم جميعاً حينما يقف أمامهم جندي يعلن : « ولقد كرمنا بني آدم »

---

(١) الوجودية والاسلام ص ٤٠ .

خاتمـــة

المتصفح لآيات القرآن الكريم يجد الدعوة صريحة إلى النظر إلى الكون ، والتأمل فيه ، وكشف أسراره وقوانينه لخير الإنسان ، وليعلم الناس عظمة الخالق سبحانه وتعالى وأنهم أمام كتابين :

الكتاب الأول الكتاب المسطور وهو القرآن الكريم .

الكتاب الثاني الكتاب المنثور وهو الكون الفسيح الذي يحوطنا .

وكلا الكتابين من صنع الخالق سبحانه .

والشيئان الصادران عن حكيم لا يمكن أبداً وبأي حال من الأحوال أن يتعارضا ...

فلا تعارض أبداً بينهما ...

فالله سبحانه وتعالى إذا أقر أمراً فهو لخير الإنسان حتماً ، وهو الحق حتماً ، وهو الصواب حتماً .

والدعوة الصريحة في القرآن الكريم إلى العلم والتأمل .

وبعد أن عرض الله سبحانه في سورة فاطر ، البحر والفلك التي تسير فيه ، وما يستخرج منه من أسماك ولؤلؤ، والناس والدواب والنبات وقد اختلف كل نوع منها ، والأرض والجبال بألوانها ذكر بعد هذا العرض قوله تعالى :

« إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء »

أي هذا الصنف من الناس الذين تأملوا البحر ، ورأوا ما فيه قوانين الطفو وكذا وكذا ... وكيفية الصيد ، واستخدام أحسن الطرق في الصيد وتوسيع الاستفادة منه بالتعليب وغيره وقل مثل ذلك في الجبال وطبقاتها وما يكتشف فيها من معادن . هذا الصنف من الناس هم أول من يدرك عظمة الخالق سبحانه .. وهم الذين يخشونه ويخافونه .

إن الدين يعلن أن الكون مسخر للإنسان بشرط أن يكون لخير هذا الإنسان ويحارب الخراب والدمار والفساد في الأرض

إن القرآن الكريم يعلن إعلاناً صريحاً أن السير في الأرض واجب ، والنظر والاستنتاج واجبان ، ودراسة الأحياء واجبـــة .

قال الله تعالى : «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير » صدق الله العظيم .

مراجع البحث : القرآن الكريم

١ ـ الإسلام ونظرية دارون للأستاذ أحمد باشميل
٢ ـ أصل الأنواع لتشارلز دارون
٣ ـ الإنسان في القرآن الكريم للأستاذ العقاد
٤ ـ الله والعلم الحديث » عبد الرزاق نوفل
٥ ـ بين الدين والعلم » » »
٦ ـ التطور والثبات » محمد قطب
٧ ـ الخطر اليهودي أو بروتوكولات حكماء صهيون .
٨ ـ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية
للأستاذ عبد الله التل
٩ ـ ركائز الإيمان » محمد الغزالي
١٠ ـ علم الأحياء للسنة الرابعة لمجموعة من المؤلفين
١١ ـ العلم يدعو إلى الإيمان لكريسي موريسون .
١٢ ـ علم الجيولوجيا لمجموعة من المؤلفين.
١٣ ـ مجلة العربي العدد ١٣٤ يناير ١٩٧٠
١٤ ـ ماركسية القرن العشرين : لروجيه غارودي
ترجمة نزيه الحكيم .
١٥ ـ الوجودية والإسلام للأستاذ محمد لبيب البوهي .
١٦ ـ مجلة الشهاب اللبنانية
١٧ ـ مجلة المجتمع الكويتية

الفهرس

مُلتزم التوزيع لجميع مطبوعاتنا
الشركة المتّحدة للتوزيع
شارع سورية - بناية صمدي وصالحة
ص.ب ٦٣٤٧ بيروت